د . عصمت سيف الدولة

الطريق إلى دولة أريحا

" الموقف القومي "

منشورات دار الانصار

إن الملاك الشرعيين لوطن ما لن يوافقوا أبداً على تقسيمه
ريمون دي فاليرا
القائد القومي الايرلندي

تنويه
بقلم : حبيب عيسى

(١)

لا أقصد من هذه الكلمات أن أقدم لكتاب شيخنا وأستاذنا د . عصمت سيف الدولة ، فأنا أعرف أنه لا يحب التقديم ، والمقدمات فلقد كان دائماً يريد لأفكاره أن تقدم نفسها كما هي دفاعاً عن ... وهجوماً على ... وبحثاً دائماً عن الحقيقة والمعرفة العلمية ، وهو القائل : (لقد كففت عن تقديم كتبي منذ سنين ، أفضل أن يكون الكتاب قادراً على أن يلتقي بقارئه كما هو بدون تقديم وأرى المقدمات محاولات يريد منها المؤلفون أن يكونوا حاضرين لقاء كتبهم وقارئيها . وهم لا يحضرون صامتين بل منحازين إلى كتبهم لافتين القارئ إلى ما يعتقدون أنه يستحق انتباهاً ... ولست أضيق بالمقدمات وحدها بل أضيق بأسماء المؤلفين . ولست أشك لحظة في أنه عندما ترفع عن الكتب مقدماتها وأسماء مؤلفيها ستكون أقدر على أداء وظيفتها الثقافية . وإنا لنعرف هذا معرفة اليقين من واقع حياتنا الثقافية في الوطن العربي حيث حملت الأسماء (الكبيرة) كتباً تافهة إلى عقول الناس ، وحيث لم تلتق أفكار عبقرية بعقول الناس لأن أسماء الناشئة من أصحابها لم تكبر بعد ... فمن حقنا أن نترك لكل كتاب فرصة تتفق مع قيمته الحقيقية بدون إضافة من خارجه ، وأن نترك لكل قارئ فرصة اللقاء بكتابه بدون إغراء أو عداء ، فلا نضيف إلى ثقل الكتاب ثقل صاحبه ولا نغري القارئ أو نستفزه بما نضيف إلى الكتاب من مقدمات أو أسماء ...).

إلى هنا وينتهي رأي د . عصمت سيف الدولة ، وكان يجب أن تنتهي معه رغبتي الجامحة في قول كلمة بموضوع هذا الكتاب ، فأقدمه للقارئ العربي ، بدون كلمة أو توضيح ، ولكن طبيعة مادة هذا الكتاب ، وموضوعه ، قد ألحّا عليّ بأن اجتهد(رغبة في أحد الأجرين على الأقل) ، فأوضح للقارئ العربي أن مادة هذا الكتاب قد انتشرت على مساحة ما يقارب الثلاثين عاماً بدءاً من عام ١٩٦٥ ، وهي السنوات الأكثر حسماً ، وكثافة في الأحداث والرؤى والتطلعات والمواقف ، وكل ما أرجوه : أن لا تكون هذه الكلمات إغراءً ، ولا استفزازاً ، وإنما مجرد تنويه ، وتذكير .. فلعل الذكرى تنفع المؤمنين .

(٢)

ثلاثون عاماً انقضت منذ أن أشهر د . عصمت سيف الدولة منهج " جدل الإنسان " ، ومنذ ذلك التاريخ ، وهو يدرس الظواهر والمشكلات من منظور " جدل الإنسان " ، كمشكلة تجد حلها الإنساني الصحيح انطلاقاً من الموقف القومي ، وتنفيذاً بالفعل والجهد القوميين ، وصولاً إلى غاية قومية وإنسانية نبيلة ، ممسكاً في ذلك كله بمنهجه الجدلي الإنساني راسماً الخط الفاصل بين الطريق القومي لتحرير فلسطين ، وبين الطريق الإقليمي للتفريط بفلسطين ، بين الطريق القومي إلى دولة العرب الديمقراطية الاشتراكية ، وبين الطريق الإقليمي إلى مستعمرة أخرى تضاف إلى المستعمرات التي تحتل أرض الوطن العربي طولاً وعرضاً تقوم على أساس مقايضة بعض فلسطين ببعضها الآخر ، بين الطريق القومي إلى وحدة الوطن والأمة ، وبين الطريق الإقليمي إلى الشرق أوسطية والتفتيت ، ورغم أن أحداثاً كثيرة تتابعت في هذه الفترة الزمنية الممتدة من منتصف الستينات إلى منتصف التسعينات ، رغم أن مواقف كثيرة تغيرت وتنوعت وتحولت ، ورغم أن عروض الأزياء السياسية قد تبدلت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وبالعكس ، فإن

الموقف القومي المنهجي عبر عن ثبات ومصداقية لم تزحزحه العواصف والانحناءات وصعوبة الرؤية قيد أنملة عن خطه البياني الصاعد رغم الانهيارات الصاعقة في الواقع . فالإنسان متطور أبداً ، والأمة متطورة أبداً ، والعدوان مهما امتلك من إمكانيات وأدوات ، زائل لا محالة ، وتقسيم الأمة إلى دول وكانتونات ومستوطنات ومستعمرات هو عدوان يكمن الحل في مقاومته وإزالته ومحو آثاره وليس بالرضوخ والاستكانة لأهدافه .

(٣)

لقد نتج عن العدوان الصهيوني الاستيطاني الغاشم على القلب العربي في فلسطين لجوء عدد كبير من عرب فلسطين إلى ديار العرب الأخرى بعد المجازر التي ارتكبها الصهاينة في حيفا ويافا ودير ياسين وقبية والجليل وغيرها ... وكان لذلك أثر سلبي لا شك فيه ، تمثل في تشريد أعداد كبيرة من الأسر العربية في فلسطين عن بيوتها وأراضيها .. لكن هذا الانتشار العربي الفلسطيني في ديار العرب كان له أثر إيجابي بالغ ، تمثل في أن عرب فلسطين تحولوا إلى قضية مجسدة للعدوان الذي يستهدف الأمة بأسرها ، وتحولوا في ذروة الشعور بالمأساة في الخمسينات من هذا القرن إلى ما يشبه الصاعق في كتلة الديناميت الجماهيرية العربية الغاضبة . وكان على القوى المعادية أن تجد وسيلة " ما " لإخراج هذا الصاعق من قلب كتلة الديناميت فهو بدونها سينحصر مجال أثره في غزة وأريحا ، وربما الضفة الغربية ، وهي بدونه كتلة هامدة لا تخيف أحداً ، وقد تآمرت الإقليمية في الوطن العربي مع الإقليمية في فلسطين لتحقيق هذا الهدف ، وتحولت قضية فلسطين من قضية تمس الشعور القومي وتجرح الكرامة العربية إلى عبء ثقيل يجب التخلص منها وتحميل مشاكلها وهمومها إلى الفلسطينيين ، وأكملت الإقليمية الفلسطينية المهمة بتحويل منظمة تحرير فلسطين إلى منظمة التحرير الفلسطينية . وبدأ العد التنازلي من تحرير الأمة وتوحيدها إلى تحرير فلسطين ، إلى الدولة العلمانية في فلسطين ، إلى دولة بعض فلسطين ، إلى دولة غزة وأريحا .

(٤)

إن ما قاله د . عصمت سيف الدولة على مدى الأعوام الثلاثين التي انصرمت بخصوص قضية العرب في فلسطين يجب أن يوضع الآن بحرفيته تحت أبصار الجيل العربي الجديد ، ذلك أن الصراع الآن يستهدف عقل هذا الجيل ، فالأعداء مسلحون بنظرية الصهيوني كيسنجر (البدء من الآن) وما يترتب عليها من تشويه للتاريخ ، وللتطور الإنساني ، وبالتالي فإن قضية فلسطين لا تبحث من حيث الحقوق وأصحابها ، وإنما من الوضع الراهن ، وتوصيفه ، وطبيعة المعاهدات والعقود التي يتم إبرامها انطلاقاً مما نحن فيه الآن . ومواجهة هذا التضليل لا تكون إلا بمنهجية علمية ثابتة تعالج مشكلات الأمة ، ومن ضمنها مشكلة فلسطين ، فالقضية هي أن تلك الأرض هي أرض الأمة العربية ، وإن هذا الجيل من شعب فلسطين بل ومن الأمة العربية بأسرها لا يملك المساومة أو التفاوض أو التنازل أو إعطاء حق المنفعة أو الإيجار ، أو البيع لجزء من تلك الأرض فهي ملكية مشتركة للأجيال المتعاقبة من أمة العرب ، يترتب على ذلك أن القضية الآن ليست في شكل السلام مع دولة الصهيونية في فلسطين ولا في حدوده ولا في طبيعته ، وإنما في أساسه ، فالسلام له طريق واحد يمر عبر بوابة العدل والحق ، وللعدل والحق بوابة واحدة تمر عبر إزالة دولة الصهاينة في فلسطين وإعادة المرتزقة الذين تم استيرادهم إلى مواطنهم الأصلية في روسيا وبولندا وغيرها وعلى بقية اليهود العرب أن يعودوا إلى مواطنهم الأصلية في الوطن العربي ، ولهم حق المواطنة كغيرهم من العرب .

وهذا الحل القومي إضافة إلى ما يحققه من عدل للأمة العربية ، يعيد البيوت إلى أصحابها ، والأرض أيضاً فإنه مع ذلك وقبله وبعده يحقق لتلك الفئة من البشر الذين تم استيرادهم من بلاد الأرض لخدمة مصالح قراصنة العالم والشعوب واستخدامهم لحراسة مصالحهم على حساب أصحاب الثروات والحقوق .. والزج بهم في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وتحويلهم من مواطنين في بلدانهم إلى مرتزقة معتدين على حقوق الغير وممتلكاتهم . يحقق لهم إنسانيتهم بإعادتهم إلى أوطانهم ومواطنيتهم .

إن الحل القومي هو حل إنساني لنا ولهم على السواء .

(٥)

لقد انتهت مرحلة من مراحل الصراع العربي – الصهيوني ، هذا صحيح لكن مدى صحته يتوقف على القول أن مرحلة جديدة قد بدأت أيضاً .يريدونها شرق أوسط ويريدوننا شرق أوسطيين ، ونريدها وطناً عربياً ولا نجد لأنفسنا هوية إلا هوية الأمة العربية انتماءً ووجوداً ومستقبلاً ومصيراً . ورغم كل ما يقال ويشاع عن الهزائم والإحباطات التي لحقت بنا ، فإن الصراع لم يحسم بيننا ، لقد أعدوا ما استطاعوا وكسبوا جولة ، ولم نعد للمعركة عدتها ، ولم نستغل مواردنا وإمكانياتنا فتلقينا الهزائم التي يتحدثون عنها ، والحق أن الأمة العربية لم تدخل الصراع بعد ، لقد حالت الدول المنتشرة على طول الأرض العربية وعرضها طيلة نصف قرن بين الأمة العربية وبين مقارعة الصهاينة ، وطيلة نصف قرن وهي تطرح نفسها على أنها حامية الحمى ، وأنها هي التي ستحرر فلسطين ... إلى أن تبين أخيراً أن كل ما تستطيع أن تحققه بالإذعان أو بالعجز أو بالتآمر هو عقد المعاهدات والاتفاقيات مع دولة إسرائيل ، وهذا يفصح عن خطأ استراتيجي ارتكبته حركة التحرر العربية طيلة نصف القرن الأخير وهو أنها لم تدرك مدى العلاقة بين دول سايكس – بيكو ودولة وعد بلفور ، ومدى تشابه الوظائف ، لكن لابد من إدراك حقيقة ما جرى وما يجري ، فكما كانت الأمة العربية مغيبة عن ساحة الصراع الحقيقي مع الصهيونية ، فإنها غائبة الآن عن المعاهدات والاتفاقيات التي توقعها دول الشرق الأوسط مع دولة إسرائيل ، وأن أحداً من الذين يفاوضون ويوقعون في فلسطين أو من حولها لا يملك تمثيل الأمة العربية ، ولا أن يوقع باسمها ، وبالتالي فإن الحديث عن تصفية الأمة العربية ، والقضية العربية ، وقضية فلسطين تحديداً هو حديث سابق لأوانه ، وستبقى مشاريعهم عن الشرق أوسطية والشرق أوسطيين حبراً على ورق ، وستبقى دولة إسرائيل ودولة أريحا وكافة دولهم الأخرى من المحيط إلى الخليج ، ومشاريع دولهم الجديدة التي يلوحون بها لإعلانها في الشرق الأوسط الجديد ... ستبقى كل هذه وتلك مشاريع دول واقعية عدوانية على وطن الأمة العربية ، وعلى شعبها ، يتوقف مصيرها على نتيجة صراع مستمر لم يبدأ بدولة أريحا ولن ينتهي بمعاهدات التصالح بين كيانات ودول الشرق الأوسط .

(٦)

إننا من موقع – حالة الحصار – نقول : ليتبادلوا ما شاءوا من الأنخاب والوثائق ومن الاعترافات المتبادلة ، وليسخروا أجهزتهم وجيوشهم ومخبريهم لخدمة مصالحهم المشتركة في احتلال أرض الأمة العربية ونهب ثرواتها ... لكن هذا كله لن يغير من الأمر شيئاً ، ولن يضيف إلى حقيقة الصراع شيئاً ، ولن ينتقص من تلك الحقيقة شيئاً ، وإنما سيسلط الضوء على ما كان يكتنف حقيقة الصراع من غموض في بعض المواقع والمواقف ...

إن أحداً من كل تلك الأطراف التي تتدافع الآن للتعاهد والتعاقد والبيع والشراء والإيجار والتطبيع مع دولة الصهيونية في فلسطين لا تملك أن تقدم لبعضها البعض الشرعية التي تبحث عنها ، ففاقد الشيء لا يعطيه . إنها بمجملها دول غير مشروعة ،وهي بالتالي تملك أن تتقاسم العدوان على الأمة العربية وأراضيها وثرواتها وأن تتبادل المواقع والمواقف وأن تنظم علاقاتها ببعضها البعض ، وأن تتعاون وتتنافس في ترتيبات خريطة الشرق الأوسط ، لكن أي طرف من تلك الأطراف لا يملك أن يمنح الآخر شرعية يفتقدها هو ، إنهم يتعاقدون ويتصرفون بمال مسروق ، وبأرض مسروقة وإمكانيات مسروقة ، والملاك الأصليون مازالوا على قيد الحياة رغم محاولات التصفية والتضليل وبالتالي فإن التصرف ، والتعاقد بني على باطل ، وما بني على باطل فهو باطل مهما تعددت البيوع والتصرفات ، لأنها تصرفات خارجة على قوانين التاريخ والعدل والجغرافيا ، وأن تلك العقود والمعاهدات لن تكون إلا وثائق إثبات على الجرم الذي ارتكب بحق الأمة العربية يتحدد من خلالها الجناة والمجرمون والمشاركون والمتدخلون والمتواطئون ... إنه يوم قد يأتي على أية حال رغم تقديرنا للصعوبات والمحن ، ومقدرة الجناة على ارتكاب جرائمهم ، ففي ربوع الوطن العربي دبيب ، وهمهمة ترهص بمخاض لولادة عربية قومية جديدة تحمل في دمها آثار المحن التي مرت و مضادات مقاومتها .

(٧)

إن المحن التي مرت بالأمة العربية وملحمة نضالها المريرة ، لم تتأت من مواجهة القوى الدولية المعادية ومخططاتها المحكمة وحسب ، وإنما قبل ذلك من مواجهة التداخل ، والتخلخل والتغلغل الخفي ، والنخر من الداخل والاختلاط الشديد بين قوى المقاومة وقوى المساومة، بحيث تتوقف على عملية الفرز في المستقبل ... مستقبل الأمة العربية ومشروعها القومي .

لقد تراكمت تجارب مريرة في ذاكرة الأمة ، ونجح المشروع المعادي حيث تمكن من الانتقال بالأمة من محنة إلى محنة أخرى أشد وأقسى ، وفشل المشروع المقاوم حيث افتقد الرؤيا الشاملة والمستقبلية ، فمن حيث التركيز على الخروج من مأزق معين ، تم إغفال الخطوة التالية التي كانت تؤدي دائماً إلى مأزق أكثر إحكاماً وخطراً .

- هكذا في الوقت الذي كانت تدق فيه طبول النصر على الغزو العثماني والتحرر منه كانت طبول النصر تقرع في العواصم الأوروبية بإدخال الوطن العربي كمناطق نفوذ للهيمنة الأوروبية بدراية البعض وغفلة البعض الآخر .

- وفي الوقت الذي كان فيه العرب يقدمون الشهداء قوافل لمقاومة الغزو الأوروبي وطرد الجيوش الأوروبية من الوطن العربي ... كانوا يدخلون في نطاق المشروع التقسيمي للوطن العربي إلى دول "مستقلة " بدراية البعض وغفلة البعض الآخر .

- وفي الوقت الذي كان فيه العرب يحتفلون بخروج الجيوش الأوروبية من وطنهم كانوا يحتفلون باستقلال الدول التي صنعها الأوروبيون على أرض وطنهم ، لتحقق للأوروبيين من الهيمنة والتبعية على الوطن العربي وثرواته ما عجزت الجيوش الأوروبية عن تحقيقه بدراية البعض وغفلة البعض الآخر .

- وفي الوقت الذي كان فيه العرب يرفضون التقسيم في فلسطين كانوا يقبلون التقسيم في كل مكان من وطن العرب ويعتبرونه استقلالاً بدراية البعض وغفلة البعض الآخر .

- وفي الوقت الذي كان فيه العرب يواجهون المشروع الصهيوني كانوا يعتمدون على أجهزة ذات الدول التي تشكل مع المشروع الصهيوني (دول الشرق الأوسط) ..بدراية البعض وغفلة البعض الآخر .

في هذه المواقف المتتابعة كان العرب يقدمون التضحيات ويحصدون الريح ، والعامل المشترك في هذه المواقف جميعها هو افتقاد الاستراتيجية التي تضع النضال المرحلي في نطاق النضال الاستراتيجي .

لقد تم استخدام مصطلحات في غير مكانها : التكتيك ، السياسة خذ وطالب ، السياسة فن الممكن ، الواقعية ، القوى الدولية المهيمنة قادرة على كل شيء وكل شيء من فعلها والتفكير مجرد التفكير بمقاومتها تهور غير محمود العواقب .

ورغم أنه لكل تلك المصطلحات قوانين وشروط وضوابط ، فإنه في كل مرة تم استخدامها لتبرير الانحراف والردة والمساومة .

- هكذا فإن قتال العثمانيين لم يؤد إلى استقلال العرب وإنما إلى الوقوع تحت سلطة استعمار أخطر وأدهى هو الاستعمار الأوروبي .

- وهكذا أيضاً فإن قتال الجيوش الأوروبية لم يؤد إلى استقلال العرب وإنما إلى تفتيتهم إلى دول أشد خطراً على الأمة من الاستعمار المباشر .

- وهكذا فإن قيام الدول في (الشرق الأوسط) لم يؤد إلى الوحدة العربية وإنما اتجه بالأمة اتجاهاً معاكساً .

- وهكذا فإن كانتون(غزة – أريحا) ليس طريقاً لتحرير فلسطين وإنما طريق لترسيخ دولة إسرائيل في فلسطين وإدخالها كدولة مركزية في نادي دول (الشرق الأوسط) .

وهكذا ... فما من مرة تم غض النظر عن الرؤيا الشاملة للصراع الحقيقي الذي يستهدف الوطن العربي بأسره أرضاً وبشراً إلا وكانت النتائج كارثية على الأمة العربية ، وما من مرة كان البعض يتخيل أنه يحقق مكاسب جزئية إلا وكان في حقيقة الأمر يقدم للقوى المعادية مكاسب شاملة ، ولعل مقولة الشاعر العربي من مصر أمل دنقر (رجعت سينا وراحت مصر) تعبر عن هذه الحقيقة المرة خير تعبير .

إن ما يسمى (التكتيك) في علم السياسة هو سلوك مرحلي في إطار استراتيجية محددة وواضحة .

أما في الوطن العربي ، وعلى مدى عقود عديدة تم انتزاع مفهوم (التكتيك) من إطاره الاستراتيجي كفعل مرحلي على طريق استراتيجي طويل ، وتمت ممارسته (كفعل مقايض) حيث يتم مقايضة الاستراتيجية بالتكتيك والأمثلة في الواقع العربي كثيرة بل تكاد تكون الأمثلة الوحيدة المتوفرة في الواقع وآخرها ، مقايضة بعض فلسطين ببعضها الآخر ، ويعلن طرف فلسطيني جهاراً نهاراً أن الجزء الأكبر من فلسطين هو (دولة إسرائيل) ليتطابق هذا الموقف مع الموقف الصهيوني ذاته .

(٨)

في عام ١٩٧٨ حضر إلى دمشق د . عصمت سيف الدولة لسبب يتعلق باتحاد المحامين العرب ، وفي يوم من أيام تلك الزيارة حضر إلى دمشق الأخ (أبو طارق) هاني الحسن لاصطحابه إلى بيروت للقاء قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ... وعندما تحقق ذلك والتأم جمع قيادة المنظمة بكل المناضلين الذين كانوا ما زالوا أحياء حتى تاريخه حوله ، وكان أبو عمار قد أعد مأدبة الغداء ، توجه د . عصمت سيف الدولة بسؤال محدد للأخ أبو عمار يقول :

- قبل أن نمد أيدينا إلى طعامك يا أخ أبو عمار أريد أن أسمع منك جواباً محدداً لا لبس فيه : هل أنت مستعد تحت أي ظرف كان ولأي سبب كان للاعتراف بدولة إسرائيل ... ؟

ورفع أبو عمار يده إلى كوفيته محتجاً على السؤال (معاذ الله يا أبو محمد) .

وتابع د . عصمت : إذن ما هذا الذي يقوله كرايسكي على لسانك ؟

أبو عمار : لقد كذبته ... يا أبو فلان اذهب إلى الأرشيف واحضر التكذيب ...

وعندما عاد د . عصمت من رحلته سألته عن الحصيلة ، فمد يده إلى جيبه وأخرج قصاصة خبر ينفي فيها مسؤول بمنظمة التحرير كلام كرايسكي بأن رئيسها مستعد للاعتراف بدولة إسرائيل ، وقال لي ساخراً : لكنه سيفعلها ، وفعلها أبو عمار .

والقضية لم تكن أبداً قضية شخصية تتعلق بأبو عمار أو سواه وإنما كانت وما زالت تتعلق بنهج وطريق ، وقد افترق الطريق القومي عن الطريق الإقليمي منذ البداية ، وإن كان التداخل الذي حصل قد أدى إلى بعض التشويش أحياناً ، وكما كان الوضوح في المواقف مطلوباً ، فإن هذا الوضوح قد تحقق الآن .

وإذا كان الموقف الإقليمي قد دخل محطة غزة أريحا فإن على الموقف القومي أن يجسد ويجذر طريقه ، وينتقل من مرحلة التحليل والتفسير والاستنتاج إلى مرحلة الفعل والمواجهة ، وإذا كانت الإقليمية في فلسطين وفي كافة أرجاء الوطن العربي مجسدة الآن بمؤسسات وأجهزة وجيوش و ... فإن على الذين يرفعون راية الأمة والوطن في مواجهة الترتيبات الشرق أوسطية الراهنة أن يجسدوا حركتهم في مؤسسة تحمل راية الأمة ومشروعها وأهدافها . أما كيف يتم ذلك ؟ فهذا هو السؤال ... الامتحان !!

دمشق ١ / ٦ / ١٩٩٥

حبيب عيسى

الفصل الأول

ما العمل؟

[رسالتان إلى الشباب العربي]

مقدمة

هاتان رسالتان بينهما عامان. وقد ركدت الأحداث فيما بينهما حتى كأنهما رسالة واحدة.
فمن الذي قال ومن الذي كتب ؟
أو لم تكن الهزيمة كافية لنتعلم الا نعبأ بالقائل الكاتب بل بما يكتب ويقول؟ أو لم تكن الهزيمة كافية لنتعلم ألا نعتّد بالشكل بل بالمضمون ؟ ألم نخدع في القائلين مراراً ؟ ألم ندفع ثمن الخديعة عاراً؟
إن كنا قد تعلمنا فهاتان رسالتان مباحتان. فمن تبناهما دعوة فهما منه. ومن ارتضاهما حركة فهما اليه. وإلى الذين لم يتعلموا ما قد يرضي الفضول.

عصمت سيف الدولة
٦ حز يران ١٩٦٩

الرسالة الأولى

رسالة الى الشباب العربى- ١-
في ٢٦ حز يران (يونيو) ١٩٦٧

أيها الشباب العربي،
السلام عليكم وعلى وطنكم العربي وبعد ،

فما العمل؟

١- لا شك في أن هذا السؤال يشغل كل الشباب العربي في المرحلة الراهنة ، كما لا شك في أن مصير أمتنا العربية يتوقف إلى حد كبير على مدى معرفة الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال الحاسم. ونحن في حاجة إلى أكبر قدر من الصلابة الفكرية والنفسية لكي نستطيع أن نعرف ماالعمل ؟ ذلك لأننا لا يمكن أن نتجاهل أننا نفكر الآن ونحن في وضع مهزوم . كذلك لا يمكن أن ننكر أن طعنات الاذلال المغروسة في جسم الأمة العربية الحي تمزق أنفسنا ألماً، وتغطي حياتنا بسحابة كثيفة من الحزن الأسود . كل هذا واقع نعرفه فيجب أن نعترف به وألا نهرب منه، أو نغالط أنفسنا فيه، فكرياً أونفسياً أو حركياً ، لأننا بشر، ولا يمكن للبشر- أي بشر- إلا أن يتألموا وأن يحزنوا وأن يحسّوا بالعار عندما تحل بهم هزيمة. إن المشاعر الإنسانية أمور طبيعية فلا يجوز أن نخجل منها أو أن ننكرهـا على أحد ، أو أن ننكر على أحد منا أن يضطرب فكرياً ونفسياً وحركياً بفعل تلك المشاعر المضطربة. إن العربي هو الذي ندم على أن استدرج ليكون ضحية العدوان ؟ هو الذي ثار عندما رأى العدوان الإسرائيلي على أرضه العربية ، هو الذي غضب عندما رأى قواته المسلحة تنهزم غدرا في معركة قصيرة لم تتح لها فيها فرصة القتال ، هو الذي تألم عندما رأى العالم على حقيقته ينسحب ممثلوه من الحوار تاركين الأمر كله لدولتين ، مقرين لهما بصلاحية القضاء في مصائر الشعوب ، هو الذي أحس بالعار الكئيب عندما رأى شعباً خليطاً في دولة عنصرية لايجمعه إلا الحقد على الإنسانية جميعاً، يقهر إرادة أمة عريقة قدمت إلى الإنسانية أنصع صفحات تاريخها تقدماً وحضارة . مليونان جمعتهم العنصرية الرجعية الحاقدة يفرضون إرادتهم على مائة مليون جمعهم تاريخ حضاري عامر برسالات الهداية التي لا يزال العالم يعيش عليها حتى الآن ، والعالم الآن يتفرج ، ويشمت . فمن حقنا أن نشعر بالعارحتى من انتسابنا إلى هذا العالم الذي يسوده غباء القوة . ولنا في الهزيمة الي حلت . مصدر إضافي للعار الذي نحسه . بل إن العربي حقاً هو الذي لن ينسى هذه الأيام السود ، ويقاوم في نفسه ، وفي أسرته ، وفي أبنائه ، وفيمن حوله " كل الجهود التي ستبذلها جميع القوى المعتدية والمتآمرة والمتخاذلة والمنهزمة، لكي ينسى .

غير أن ما وقع قد وقع ولحق بالماضي الذي لا يمكن الغاؤه . فكما أنه لم يكن في مقدورنا أن نعيد الزمان إلى ما قبل سنة ١٩٤٨ لنحول دون اغتصاب الأرض العربية في فلسطين، لم يعد في مقدورنا أن نعيد الزمان إلى ما قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لنحول دون هزيمة الجيوش العربية واغتصاب اسرائيل مزيداً من الأرض العربية . ليس في مقدورنا أن نعيد إلى الشهداء أرواحهم الطاهرة ولا أن نعيد نبض الحياة المفعمة بالأمل إلى الأخوة والأخوات والأطفال الذين جففتهم قنابل النابالم . لم يعد في مقدورنا أن نحول دون الأخطاء التي ارتكبت وأن نقنع الذين رفضوا دائماً أن يقتنعوا بالطريق الوحيد لتلافي الكارثة التي حلت. وما دام هذا كله قد أصبح في غير مقدورنا فلا مبرر للوم أو العتاب أو الاتهام. ولا يساوي شيئاً- الآن- أن نقول: كان يجب

علينا أو على غيرنا أن يفعل كذا.... فإن كان فعل ماض. وكل ماض لا تمكن إعادته لالغائه. لا مبرر اذن للعويل والندب والبكاء على ما فات ، فإن ما فات لايعود.

دعونا إذن ننظر إلى المستقبل فإنه الطريق الوحيد المفتوح لإرادتنا. دعونا نقاوم في أنفسنا ، وفي أسرنا، وفي أبنائنا، وفيمن حولنا، كل الجهود التي ستبذلها جميع القوى المعتدية والمتآمرة والمتخاذلة والمنهزمة لكي نظل حبيسي الهاوية التي ترديناا فيها حتى تتعفن إرادتنا ويضيع المستقبل كما ضاع الماضي.

فما العمل ؟

٢- إذا كان في غير مقدورنا أن نحول دون ما وقع ، فإن في مقدورنا دائماً أن نحول دون أن يمتد هذا إلى المستقبل . إن المستقبل هو ساحة نضالنا ، ونحن قادرون دائماً على أن نغير الظروف على الوجه الذي نريد ، فيأتي المستقبل كما نشاء خالياً من الألم والحزن والعار، خالياً من القتل والتدمير، خالياً من الاعتداء والمعتدين ! خالياً من إسرائيل. ولكننا نعرف أن المستقبل لا يحقق ذاته وأن الظروف لا تتغير تلقائياً ، وأن حل التناقض بين الماضي والمستقبل هو مهلة البشر. ونعرف هذا التناقض عمقاً وحدة ، بقدر ما نحس في أنفسنا من ألم: فهل ثمة من يتألمون الآن أكثر منا ؟ إن هذا يحدد اتجاهنا وغايته . إنه يعني أن الخلاص من الألم والحزن والعار ، الخلاص من الواقع الذي يجثم على صدورنا، أن نحقق نقيضه في المستقبل . إن هذا هو الطرق الوحيد لنعود فنحس مرة أخرى بأننا بشر وأننا رجال، لنستطيع أن نرفع هاماتنا وأن نتحرر من كابوس العار الرهيب ، لنستطيع أن نواجه أطفالنا واثقين من أننا سنورثهم حياة بدون ألم أو حزن أو عار ، ومن أن رجولتنا التي أنجبتهم قادرة على أن تقدم لهم مستقبلا من الرخاء والحرية والسلام ، وأن تحميه، لنستطيع أن نواجه زوجاتنا ولتستطيع كل زوجة أن تفرح بكل مولود جديد ، لتستطيع كل أم أن تربي ابنها بدون أن تخشى أن تثكله ، لنستطيع أن نبني بدون خشية الهدم . لنستطيع أن نتقدم بدون خشية النكسة، لنستطيع أن نفرح بالحياة بدون خشية أن نموت شواء مقدداً بقنابل النابالم. لنستطيع أن نحلم وأن نأمل بحياة السلام والرخاء والحرية بدون أن يكون كل مصير أحلامنا وآمالنا معلقاً بإرادة أعدائنا القتلة منهم والمتآمرين . لكل هذا يجب أن نحقق في المستقبل نقيض الواقع . وإذا كان الواقع هو الوجود الإسرائيلي المعتدي فإن المستقبل هو أن تزول دولة إسرائيل . وتكون مهمتنا الر ئيسية أن نغير الظروف العربية وأن نحقق المستقبل الذي نريده . فمن الذي يغيّر الظروف يحقق المستقبل ؟ إنه الإنسان . إن هذا يحدد مهمتنا الأولى: إنقاذ الإنسان العربي كخطوة حتمية أولى لإمكان إنقاذ المستقبل العربي.

فما العمل؟

٣- إن الخطر الذي يتهدد الشباب العربي الآن هو أن يقبل الهزيمة ، أن يصبح شباباً مهزوماً وليس شباباً مناضلا فى وضع مهزوم ، ونصبح منهزمين عندما نفقد في الظلام الذي يحاول ، وسيحاول ، المعتدون والمتآمرون و المتخاذلون والمنهزمون نشره على الأرض العربية، المقدرة على رؤية مواقفنا القومية والتشبث بها . عندما نقبل ما يقوله المعتدون والمتآمرون من أننا قد فقدنا المقدرة على الاستمرار في المعركة ، عندما نقبل ما يقوله المتخاذلون والمنهزمون من أننا غير قادرين على النصر على أعدائنا . عندما نستمع إلى الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين وهم يحاولون أن يغرسوا في رؤوسنا بذور اليأس لنقبل الواقع الذي صنعوه فنتخلى عن المستقبل . عندما نقبل أن تشركنا الأقليمية المنهارة في منطلقها الخاطىء ، ومسيرتها الضالة، ومسئوليتها الجسيمة، وخسائرها الفادحة. فلنصمد عند موقفنا القومي فكراً وحركة، ولننظر إلى ما حدث من حيث نحن صامدون ، فماذا نرى ؟

في صباح يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وجهت إسرائيل ضربة مؤثرة إلى قواتنا الجوية فأخرجت الجانب الأكبر منها من المعركة بدون أن تتاح لطيارينا فرصة القتال. وفي الأيام القليلة التالية دمرت كثيراً من عتادنا وقتلت كثيراً من جنودنا البواسل و أبادت كثير من آبائنا وأمهاتنا وإخوتنا وأخواتنا وأطفالنا ونثرت على أرضنا كثيراً من الثكلى واليتامى والمشوهين والمشردين وأذلت الأسرى وهتكت حرمات البيوت ، وكان الإسرائيليون وحوشاً ضارية ولغت في دمائنا. ومنذ صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قاتل جنودنا البواسل وشبابنا ورجالنا ونساؤنا في الصحراء وفي المدينة المقدسة وعلى مشارف سورية قتالا بطولياً في معركة مكشوفة لقوات العدو الجوية، وفي ظروف بالغة القسوة ، وقد دمرنا من عتاد الأمريكيين عندهم مثل ما دمروا، وقتلنا منهم كما قتلوا وإن كنا قد عجزنا أن نكون وحوشاً تلغ في الدماء مثلهم. فماذا يعني كل هذا؟ إن كانوا قد قتلوا أخيراً ودمروا وشردوا فقد شردوا الملايين وقتلوا الآلاف وبقروا البطون وهتكوا الأعراض وفتكوا بالأطفال سنة ١٩٤٨. ثم دمروا ما استطاع الإنجليز والفرنسيون أن يدمروه لهم سنة ١٩٥٦. لا جديد إذن إلا مزيداً من الشهداء في صفوفنا ومزيداً من القتلى في صفوفهم في جولة جديدة من معركة بدأت منذ تسعة عشر عاماً ولم تنته بعد . ولن يكون ما حدث آخر القتل والتدمير، إلى أن يتحقق النصر بزوال إسرائيل . كل الخسائر، إذن ! كانت متوقعة، فوقوعها عاجز مقدماً عن أن يهزمنا ويفقدنا المقدرة على الاستمرار في المعركة حتى غايتها . إننا نتألم كالآخرين ، ولكن الذين يقلبون الخسائر في الأرواح والعتاد إلى هزيمة هم الذين كانوا قد نسوا فلسطين . هم الذين كانوا- تحت تأثير أحلامهم الإقليمية الحقيرة- قد نسوا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦. هم الذين كانوا إلى ما قبل يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ قد هزموا أنفسهم مقدماً، فاعتقدوا أن إسرائيل نوع- ولو رديء- من الدول وأنها ليست معسكراً لقوة باغية من بشر كالوحوش الضارية . هم الذين كانوا قد تخلوا عن مواقفهم القومية فظنوا أنهم قادرون على أن يحتفظوا بالحياة الآمنة داخل حدودهم الأقليمية بينما دولة الذئاب على أرض فلسطين العربية ، هم الذين كانوا قد تخلوا عن المعركة فظنوا أنها انتهت بعد سنة ١٩٤٨، إلى أن بطش بهم المعتدون فظنوا مرة أخرى أنها انتهت سنة ١٩٥٦، إلى أن ذكرتهم إسرائيل ذاتها بأن المعركة لم تنته بعد فوجهت اليهم ضربتها يوم ٥ حزيران ١٩٦٧. ومنهم من يظن أن المعركة الآن قد انتهت فيشغل نفسه بإقامة المآتم وإعداد الحساب الختامي لقوائم الخسائر والأرباح في الأرواح وفي العتاد . كل هؤلاء يشعرون الآن بأنهم قد هزموا لأنهم لم يعرفوا قط ماهية المعركة ضد الوجود الإسرائيلي ، فهم منذ البداية مهزومون.

أما بالنسبة إلى القوميين، فضحايا غالية في معركة مصيرمستمرة، تضاف إلى ضحايا غالية من قبل، ولن تكون هي ذاتها آخر الضحايا. وقد دمروا وقتلوا ودمرنا وقتلنا. ولسنا نتحدث عن خسائرهم ولا عن خسائرنا. إذ ليست المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة قتل وتقتيل. وليست غايتها أن نقتل منهم أكثر مما يقتلون منا، وأن يفقدوا أكثر مما نفقد ، وأن ندمّر من عتادهم أكثر ما يدمرون، ثم نقيم موازين النصر أو الهزيمة على أساس رصيد ما بقي لنا وما بقي لهم. فليست غايتنا أن نقتل الإسرائيليين، وأن ندمر أسلحتهم، ثم نفرض عليهم شروط الصلح كما هو الأمر في المعارك العسكرية. إن معركتنا أبعد ما تكون عن المعارك العسكرية لأنها معركة وجود. إن غايتنا أن نزيل دولة إسرائيل. وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الشهداء وبعض العتاد في جولة أو أكثر من جولة، وقد نقتل منهم وندمر أكثر مما يقتلون ويدمرون، ولكنا لا نكون قد انهزمنا عندما نخسر جولة أو نفقد أرواحاً أو عتاداً ما دمنا مستمرين في النضال من أجل غايتنا: زوال دولة إسرائيل. كذلك لا نكون قد انتصرنا ولو دمرنا القوة العسكرية لإسرائيل، ولو أبدنا نصف الإسرائيليين ما دامت دولة إسرائيل باقية.

هكذا نرى الذي حدث من مواقفنا القومية، جولة خاسرة في معركة مستمرة ، وكل خسائرها متوقعة من قبل أن تقع، فهي لا تقدم كثيراً ولا تؤخر كثيراً في موقفنا من غايتنا الوحيدة: زوال دولة إسرائيل. إن هذا الموقف القومي حصانة لنا ضد قبول الهزيمة ، وأهم من هذا حصانة لنا ضد الجهود التي سيبذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج النواح على الشهداء ومناقشة حساب الأرباح والخسائر بيننا وبين إسرائيل، وإغراءات التعويض السخية الي نتوقع أن تقدم لنا لنقبل ماوقع ونتخلى عن غايتنا ، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا.

ثم ماذا حدث ؟

استولت إسرائيل على الضفة الغربية من الأردن ، وقطاع غزة، وسيناء، وجزء من الأرض العربية في سورية. إن هذا يبدو كما لو كان نهاية الدنيا بالنسبة إلى من ينظرون اليه ويقيسونه على وجودهم الأقليمي. وقد يقبلون الإذلال والمساومة لإنقاذ أرض " الوطن ". ويعلم أعداء الأمة العربية منهم ما يعرفون من أنفسهم فيساومونهم على إعادة أراضيهم اليهم ، ويقترحون عليهم ضماناً لحدودهم، ويطلبون منهم ثمناً أن يقبلوا وجود إسرائيل وأن يضمنوا حدودها. إنها مأساة فعلا. ولكنها مأساة الأقليميين. أما بالنسبة إلى القوميين فجولة خاسرة وليست مأساة تبرر المساومة الذليلة. إن القوميين الذين كان ولاؤهم دائماً للوطن العربي الكبير الذين لم يحترموا قط حدود الدول الأقليمية يرون ما حدث على وجه لا يراه الأقليميون: إذا كانت إسرائيل قد احتلت سيناء وغرب الأردن وجزءاً من الأقليم الشمالي (سورية) فإنها تحتل فلسطين منذ تسعة عشر عاماً . لا جديد إذن إلا أننا نتقهقر في معركة ميدانها الوطن العربي الكبير وغايتها استرداد كل الأرض العربية من كل المغتصبين ، في الجنوب العربي وفي فلسطين. لسنا نقاتل إسرائيل من أجل أرض وراء أو أمام خط الهدنة. لسنا نقاتلها من أجل مدن أو صحارى . لسنا نقاتلها من أجل مكاسب أقليمية. إنما نخوض ضدها معركة مصير غايتها أن تزول دولة إسرائيل. وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الأرض، وقد نسترد بعضها ؟ قد نتقهقر وقد نتقدم، ولكن التقهقر لن يكون هزيمة والتقدم لن يكون نصراً، لأن الهزيمة هي أن تبقى دولة إسرائيل ولو رمزاً في قرية والنصر أن تزول دولة إسرائيل.

هكذا نرى الذي حدث من مواقفنا القومية ، تقهقراً على الأرض العربية والمعركة مستمرة. وكل أرض أخليناها وكل ما نسترده من أرض لا يقدم كثيراً ولا يؤخر كثيراً في موقفنا من غايتنا الوحيدة: زوال إسرائيل. إن هذا الموقف القومي حصانة لناضد قبول الهزيمة وأهم من هذا، حصانة لناضد الجهود التي بذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج مسارح الدبلوماسية الدولية وتبادل ضمانات الحدود، وإغرائنا بنصر زائف عن طريق إقناع إسر ائيل أو إكراهها ، علي أن تنسحب من الأرض التي احتلتها أخيراً لتبقى لها الأرض الي احتلتها أولا، وهو ها نتوقع أن يقدم لنا لنقبل ما وقع ونتخلى عن غايتنا، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا.

ثم ماذا حدث ؟

في مساء يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت القوات المسلحة للقدر الأكبر من الدول العربية محتشدة على حدود الأرض السليبة أو في الطريق اليها. وكانت كل الدول العربية قد وصلت في تضامنها إلى ذروة هذه الصيغة من العمل المشترك خلال بيانات ومشاورات وزيارات ومعاهدات وبروتوكولات واتصالات تليفونية وشخصية بين الجميع. وفي مواجهتها كانت جيوش الصهيونية العالمية محتشدة في إسرائيل . ونظراً لطبيعة المعارك العسكرية الحديثة

وطبيعة أرض الجبهة لم تكن نتيجة المواجهة العسكرية محل شك: ينتصر من يضرب الضربة الأولى فيكسب السيطرة الجوية . فضربت إسرائيل وكسبت الجولة ولم نضرب أولا فخسرناها . تلك هي الخلاصة التي تغني عن كل تبرير للنصر أو تفسير للهزيمة. وعندما نعرف لماذا لم نضرب نحن الضربة الأولى نكون قد عرفنا ما يكفي مما حدث ، لأننا نكون قد عرفنا الجوهري منه. لم نضرب الضربة الأولى لأن الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات السوفيتية قد اتفقا في اتصال مباشر على خط هاتفي مفتوح بين موسكو وواشنطن على ألا نكون نحن الضاربين أولا، وطلبا منا هذا، وعداً سوفيتياً ووعيداً أمريكيا، فسمعنا وأطعنا وخضعنا. كان ذلك يوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ . إن هذا التاريخ هو الذي يجب أن نحفره في رؤسنا فلا ننساه ، ونحفره على قبور شهدائنا لأنهم ضحاياه ، ونردده على أبنائنا فلا ينسوه ، وألا نسمح لأية قوة على الأرض بأن تنسينا إياه. إنه يوم الجمعة ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧. و (ليس يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . أيها الشباب العربي فلا تنسوه. وإن تنسوه فإنكم هالكون . ففي ذلك اليوم الأسود المشئوم خرجت قيادة المعركة التي حشدنا لها أبناءنا وأخوتنا ، التي تحملنا كثيراً ودفعنا كثيراً لنعد لها ، التي تعلق بها شرف أمتنا العريقة وسلامة أرضها ، خرجت من أيدينا ، وتولى إتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق والولايات المتحدة الأمريكية العدوة، إدارة المعركة، وتحديد بدء إطلاق النار ، ومن يوجه الضربة الأولى . تولت هاتان ، عملياً وموضوعياً، وبصرف النظر عن حسن النية أو التآمر المريب أو الخديعة الماكرة أو الانخداع الغبي، تحديد من الذي ينتصر ولمن تكون الهزيمة والدمار والألم والحزن والعار. في ذلك اليوم الأسود المشئوم تقرر أن يكون أخوتنا وأبناؤنا المحتشدون على أرضنا، جنداً في ساحة معركة يقودها غيرنا. ولم نكد نفيق من الضربة الغادرة الأولى ونحاول أن نسترد إرادتنا لندفع عار الهزيمة بالتكتيك المناسب حتى اختلى مندوب اتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق بمندوب الولايات المتحدة الأمريكية العدو، في حجرة مغلقة في مقر مجلس الأمن بنيويورك وانتظر العالم كله على الباب ليقرر صاحبا الشأن ما يريانه في أمرنا فاتفقاعلى إيقاف إطلاق النار. وبينما سمعنا وأطعنا وخضعنا فحرمنا من الفرصة الوحيدة للدفاع بشرف عن أمتنا: إطالة الحرب وتوسيع نطاق القتال وسحب قوات العدو وبعثرتها على أكبر رقعة من الوطن العربي الكبير ثم الانقضاض عليها ، احتاجت الدولتان القائدتان إلى مزيد من الوقت والحوار في جلسات مجلس الأمن وعلى خط الهاتف الأحمر للاتفاق على ما إذا كان أمر إيقاف إطلاق النار يمنع ، أو يبيح، لإسرائيل أن تتقدم على الأرض العربية حتى دمشق . وبمجرد إيقاف إطلاق النار على حدود سورية، بعد أن كانت إسرائيل قد احتلت القنيطرة ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها- ولم تقل إسرائيل - قد انتصرت ! وأصبح مفهوماً تلقائياً من الذي انهزم ، ثم احتدمت بين الدولتين حرب دبلوماسية يحاول فيها اتحاد الجمهوريات السوفييتية أن يكسب الجولة التي خسرها فيسترد- لنا- الأرض التي ضاعت، ويعوض- لنا- العتاد الذي دمر، وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية فيها أن تحتفظ بثمار المعركة التي كسبتها وأن تملي- علينا- شروط الصلح . ولا تزال المعركة بينهما مستمرة. إنها مأساة فعلا ولكنها مأساة الإقليمية . الإقليمية التي ظنت أن لدولها الهزيلة من الثقل الدولي ما يحول دون أن يتقرر مصيرها خلسة بين القوى الدولية الصديقة والعدوة. الأقليمية التي توهمت أنها ندّ لأصدقائها أو لأعدائها. الأقليمية التي تصورت أن إسرائيل دولة فقاستها حجماً وقوة على أحجامها وقواتها فتطلعت إلى نصرسريع، فتهافت حكامها على الالتقاء والتعاهد والمشاركة ليمشوا صفاً واحداً في شوارع تل أبيب ، ونسيت أن إسرائيل قاعدة لقوى الأمبريالية على الأرض العربية. الأقليمية التي خدعت نفسها فحسبت أن قضية فلسطين هي قضية " منظمة التحريرالفلسطينية " أو الشعب العربي في فلسطين أو دولها الأقليمية، فتصدت بحساباتها الخاطئة ونسيت أنها قضية الأمة العربية وأن حسابات معاركها لا بد أن تكون قومية. الأقليمية التي تشن- الآن- حملة عداء منفعلة ضد الامبريالية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية كأن عداوة أمريكا والامبريالية العالمية للأمة العربية وحرية الشعوب جميعاً لم تولد إلا يوم ٥ حزيران (يونيو)

١٩٦٧. إذا كانت قد فوجئت بالعدوان الأمريكي الامبريالي فلأنها كانت قد ظنت أن هناك مبرراً- أي مبرر- لوجود دولها الأقليمية الهزيلة في عصر البغي الأمريكي الامبريالي.

الأقليمية التي تعتب- الآن- أو تسخط على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق لأنه قد أخلف وعده ، كأن صداقة اتحاد الجمهوريات السوفيتية حماية تحت الطلب أو أن قواته في خدمة مصالحها لا مصالحه. إنها إذ تغضب الآن لأن اتحاد الجمهوريات السوفيتية قد كف عنها حمايته تكتشف- عملياً وموضوعياً- حقيقة استقلالها وسيادتها. إنها إذ تتجرع مرارة خيبة الأمل وتحس بقسوه الغدر فلأنها كانت قد ظنت أنها دول ذات وزن يفرض على الأصدقاء أن يربطوا مصيرهم بمصيرها في المعارك المصيرية. وكل هذا غير صحيح. إنه من خلق أوهام الأقليمية فإذا كانت الأقليمية قد وجدت نفسها في مأساة فهي التي خلقت مأساتها. ولن يجديها شيئاً أن تلوم الولايات المتحدة الأمريكية على الحرب التي أعدت لها وخططت ثم عهدت إلى الصهاينة بتنفيذها، فحتى الأطفال القوميون يعرفون أن الولايات المتحدة الأمريكية عدوة الشعوب، وأننا لا نلوم أعداءنا بل ندمرهم . ولن يجديها شيئاً أن تعتب على اتحاد الجمهوريات السوفييتية، فحتى الأطفال القوميون يعرفون أن الصداقة بين الدول تعبير عن التقاء المصالح القومية وأنها في خدمة المصالح ولا تضحي المصالح من أجلها. حتى الاطفال القوميون يعرفون أن الصداقة لا تقوم إلا بين أنداد، وإلا فإنها تبعية أو وصاية. حتى الأطفال القوميون يعرفون أن سواد العيون غير ذي جاذبية مؤثرة في سياسة الدول. إن مأساة الاقليمية عميقة ومدمرة وداعية لليأس فعلا، لأنها اكتشفت في أشد اللحظات حرجاً أنها- طبقاً لموازين المعركة- لا تساوي شيئاً.

أما القوميون فيرون الأمور من موقفهم القومي على وجه لا يراه الأقليميون. إنهم يرون كل شيء قد سار طبيعياً طبقاً لقوانين وموازين القوى بين الأمم في القرن العشرين . فإسرائيل ليست، ولم تكن يوماً، وجوداً دولياً مستقلا عن الامبريالية العالمية ، بل هي قاعدة عدوانها ضد الأمة العربية. وأي عربي على قدر من العلم بتاريخ التآمر الاستعماري ضد الأمة العربية يعرف أن الاستعمار البريطاني قد كان قرر إنشاء دولة فاصلة بين المشرق العربي والمغرب العربي، في فلسطين أو في سيناء ، تكون مهمتها أن تحول دون وحدة الأمة العربية، ووضع مشروع تلك الدولة بدون توقف على أطماع الصهيونية في فلسطين ، بل وحتى عندماكان الصهاينة يبحثون عن أرض يغتصبونها في أماكن متعددة من أفريقيا. وعداء الولايات المتحدة الأمريكية والامبريالية العالمية للأمة العربية له أسباب موضوعية سابقة على سنة ١٩٦٧ بكثير، بل إن بعض أسبابه تمتد إلى صراع تاريخي سابق على وجود الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها ، توارثه الأقوياء من الغرب دولة فدولة حتى تولته الولايات المتحدة الأمريكية ضمن مخططاتها الاستعمارية الجديدة ضد الأمم والشعوب. وعندما يتفق اليمين واليسار الأوربى ضد العرب ويعقد البسطاء في شوارع العواصم الأوربية والأمريكية حلقات الرقص فرحة بهزيمة العرب ، يطفح العداء العنصري للعرب فوق كل ادعاءات المدنية والإنسانية وتسقط ترهات الزاعمين التقدمية والاشتراكية الذين لا يزالون- حتى من حيث لا يدرون- أسرى مركب الاستعلاء العنصري الأبيض وثارات الصر اع القديم. وصداقة اتحاد الجمهوريات السوفيتية لها هي أيضاً موضوعية سابقة على سنة ١٩٦٧ بكثير. وأسبابها الموضوعية لها حدود موضوعية لا تتعداها. والقوميون الذيئ اعتزوا بتلك الصداقة ود عموها لم يسيئوا فهمها قط. إنها صداقة في سبيل مصالح العرب والسوفيت معاً، وتابعة لالتقاء تلك المصالح، وفي حدود هذا الالتقاء ، وليست على حساب مصالح العرب أو السوفييت. إنها صداقة وليست تبعية بالنسبة إلى العرب. وصداقة وليست وصاية بالنسبة إلى السوفييت . فليس لهم أن يطلبوا منا التبعية بحجة الصداقة، وليس لنا أن نطلب منهم الوصاية بحجة الصداقة. وقضية فلسطين قضية قومية ، وليست قضية فرد أو فئة أوالفلسطينيين أنفسهم ، أو أية دولة أقليمية ، فاستردادها لايتم إلا بمنطق قومي من منطلق قومي بأداة قومية في معركة قومية لحساب الأمة العربية. ولم يتوقف القوميون عن القول ، والترديد

والصراخ في بعض الأوقات: إن الأقليمية تساوي الفشل. لا مكان في هذا العالم ولا وزن للدول العربية الأقليمية منفردة أو مجتمعة . لا يمكن أن تكون التجزئة التي فرضها الاستعمار هي أداة التحرر من الاستعمار. لا يمكن للقيود التي تكبل جماهير الأمة العربية وتحول دون التحامها أن تكون هي سلاحها في معركة الحرية. كفوا عن الوهم والادعاء الخطأ وأعيدوا لجماهير الأمة العربية دولة الوحدة لتكون أداة إرادة الجماهير الواحدة . بل إن القوميين يدركون تماماً أنه في يوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ ما كان في استطاعة الدول العربية الأقليمية مجتمعة أن تقول: لا. لأن الأقليمية كانت قد سلبت الأمة العربية المقدرة على أن تقول "لا" للأصدقاء والأعداء معآمنذ زمن سابق على سنة ١٩٦٧ بكثير.

لهذا فإن الذين ينظرون إلى الأحداث من موقفهم القومي لا يرون فيما حدث شيئاً غريباً. إذا كان فشل الأقليمية قد وقع كالصاعقة على أفئدة الأقليميين فإنه كان متوقعاً عند القوميين فهو عاجز مقدماً عن أن يسلبهم مقدرتهم على الاستمرار في المعركة . إذ أن الأمة العربية وجماهيرها العظيمة لم تكن طرفاً فيما حدث يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما سبقها من أخطاء وما صاحبها من تخاذل وما تلاها من مناورات. لم تكن طرفاً لا بالإرادة ولا بالفعل. وإن كانت هي التي دفعت من أبنائها وأرضها ثمن ما حدث. فالأمة العربية وجماهيرها العظيمة لا تنهزم عندما تفشل الأقليمية في تحرير فلسطين ، ولا تنتصر حتى لو استطاع اتحاد الجمهوريات السوفيتية وهو يخوض الآن صراعاً دولياً تأييداً لقضيتنا ولكن دفاعاً عن هيبته ومصالحه في العالم الثالث، أو لو استطاعت الدول الصديقة وهي تخوض ذات الصراع تأييداً لقضيتنا ولكن دفاعاً عن وجودها أن يناله ما نالنا من الاعتداء الامبريالي، أن يستردوا للأقليمية العربية الأرض التي فقدتها: لحسابها أو لحساب دولة عربية أقليمية جديدة على بعض أرض فلسطين تصفية لقضية اللاجئين. إنما تنتصر الأمة العربية عندما تسترد جماهيرها العظيمة أرض فلسطين لحساب دولة الوحدة العربية وتنهزم إذا قبلت وجود دولة إسرائيل ولو أعيد اليها اللاجئون.

إن هذا الموقف القومي حصانة لنا ضد قبول الهزيمة، وأهم من هذا، حصانة لنا ضد الجهود التي سيبذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج الإشادة بمقدرة الدول الأقليمية- بمساعدة أصدقاء الأمة العربية- على استرداد الأرض التي فقدتها، ونداءات العودة إلى دعم البناء الأقليمي. وهو ما نتوقع أن يدعونا اليه لنقبل ما وقع ونتخلى عن غايتنا، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا.

هذا هو ما حدث كما نراه من الموقف القومي: تآمر وتخاذل واعتداء وقتل وتدمير وفشل في جولة من معركة بدأت قبل سنة ١٩٦٧ بكثير ولم تنته بعد. وفي ما حدث مايكفي ، وأكثر لنشعر بالألم والحزن والعار، لأننا بشر ولكن ليس فيه على أي وجه ما يعني الهزيمة. ليس فيه على أي وجه ما ينال من مقدرة أمتنا العربية على النصر ليس فيه على أي وجه ما يغير موقفنا من أصدقائنا ومن أعدائنا أو يصرفنا عن غايتنا: زوال دولة إسرائيل.

فليتشبث شباب الأمة العربية- إذن- بالموقف القومي فلا ينهزم. وليقاوموا في أنفسهم وفي أسرهم وفي أبنائهم وفيمن حولهم كل الجهود التي يبذلها ، وسيبذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون ليشككوهم في موقفهم القومي أو ينتزعوهم منه قسرا ، أو يأسا، أو إغراء ببديل عنه . أيها الشباب العربي ، لقد كانت القومية دائماً أداة النصر، وهي الآن طوق النجاة، فتشبثوا بها. وليرفع الشباب من أمتنا العظيمة رؤسهم ولو كانوا في وضع مهزوم. عندئذ يرون بوضوح مهمتهم الثانية: تغيير ظروف المعركة والاستمرار فيها حتى النصر.

فما العمل؟

٤- إن الواقع هو نقطة البداية الحتمية إلى المستقبل. ومهما تكن آمال الشباب العربي في المستقبل لا ينبغي أن يتجاهلوا ما وقع أو أن يحاولوا- فكرياً أو حركياً- القفز من فوقه إلى آمالهم. إن هذه مثالية فاشلة. فمهما يكن الشباب العربي غير مسئولين عن الوضع المهزوم الذي ترددت فيه قضية فلسطين فإنهم مسئولون عن التصدي إيجابيا لهذا الواقع الذي يكرهونه . مسؤولون لأن القضية قضيتهم والمصير مصير أمتهم. والشهداء أخوتهم وأبناؤهم. والأرض أرضهم. مسئولون لأن أية خطوة إيجابية لا بد أن تبدأ من هذا الوضع المهزوم. إن أية محاولة- الآن- للتخلي عن مجابهة الواقع ، ولو بحجة البحث عن بداية جديدة، هي عملياً وموضوعياً تسليم بما وقع ، وقبول الهزيمة، أي أنها مساهمة في تحقيق أغراض أعدائنا، فإن غاية أعدائنا الآن أن نقبل ما وقع ولا يضيرهم كثيراً- ما دمنا نقبله- أن نتحدث ما شاء لنا الحديث عن جولات قادمة.

والواقع الذي نكرهه- كما نعرفه- أن الإسرائيليين قد احتلوا أخيراً سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية من الأردن وبعض مشارف سورية بعد هجوم عسكري سريع أجلى القوات العربية عن تلك المناطق. ويحاولون الآن إبادة العرب فيها أو إكراههم على الجلاء عنها. ولكن الواقع أيضاً أن توقف القتال كان على أثر قرار بإيقافه من هيئة الأمم المتحدة. وأن معركة دبلوماسية بالغة العنف تحتدم الآن على المسرح الدولي بين الشعوب الصديقة بقيادة اتحاد الجمهوريات السوفيتية والدول المعادية والمتآمرة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية حول إدانة إسرائيل وسحب قواتها من الأرض التي احتلتها أخيراً. وفي الوقت ذاته لا تكف القوات المسلحة لكثير من الدول عن التأهب والتحرك لمواجهة احتمالات الموقف!. وفي الوقت ذاته لا تكف بعض الدول العربية عن الإعداد والاستعداد لمواجهة مسلحة جديدة وكذلك تفعل إسرائيل. ومن ناحية أخرى تشتبك جماهير الأمة العربية في معركة اقتصادية ضد المعتدين والمتآمرين . فقيود ضخ النفط لا تزال قائمة وقابلة للاستمرار. وقناة السويس لا تزال مغلقة. ودعوة المقاطعة وتصفية القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية في الأرض العربية لا تزال في بدايتها. والوحدة تكاد تفرض ذاتها فلا أحد يجرؤ الآن على الهمس دفاعاً عن الأقليمية. والأقليمية ذاتها مجروحة جرحاً قاتلا قد يدفعها إلى القتال بوحشية دفاعاًعن مصيرها. وجماهير الأمة العربية تغلي غضباً لكرامتها وكبريائها المثلومة. ووراء كل هذا احتمال جولة عسكرية متوقعة ستكون إن وقعت أكثر عنفاً وشراسة وربما أوسع نطاقاً من أية حرب شهدها هذا الجيل. إن معنى هذا أن المعركة التي بدأت على حدود فلسطين المحتلة يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قد أصبحت تدور على مستوى عالمي، وتسهم فيها قوى عالمية، كما تشترك فيها الأمة العربية بجماهيرها العريضة والدول الأقليمية بكل ما تستطيع.

الجولة إذن لم تنته، والعودة إلى قوة السلاح متوقعة في أية لحظة، والصراع الدبلوماسي والاقتصادي لا يزال مستعراً. هذا أيضاً واقع لا يمكن تجاهله. لهذا فإن على الشباب العربى أن يدرك أنه لا يزال مشتبكاً مع أعدائه وأن يلتزم مسئولية هذا الاشتباك فلا يتخلى عن مواقعه ولا يكف عن التقدم واكراه أعدائه على التخلي مما اغتصبوه . إن شعار " إزاله آثارالعدوان " الذي تدور المعركة الآن تحت لوائه يعني استرداد الأرض العربية التي احتلها الأعداء أخيراً. هذه هي المهمة المباشرة للشباب العربي الآن . إن واجبهم الرئيسي أن يصمدوا في المعركة ولا يتخلوا عن الاشتباك ولا يسمحوا لأحد أن يلهيهم عن هذا الواجب بالمناقشات الانهزامية حول ما كان يجب علينا أو على غيرنا أن نفعل ، ولماذا فعل أو لم يفعل، وأخطاء الماضي والمسئولية عنها. إن تحديد المسئولين عما وقع ومحاسبتهم وتوقيع العقوبة الرادعة بهم واجب قومي حتى لا يستهتر أحد مرة أخرى بمصير هذه الأمة، ولايعبث بكرامتها، ولا يستهين بحياة أبنائها، ولا يمكن لأعدائها منها. واجب قومي نعم ، ولكن ليس هذا أوانه. فإن أقصى ما يبغيه أعداؤنا الآن، وما يبذلون جهودهم الخبيثة لتحقيقه أن نتخلى عن الاشتباك معهم- والمعركة لم تنته بعد- لتمزق

ما تبقى من صفوفنا ونستهلك مما تبقى من طاقتنا في موجات من الاتهام المتبادل والبحث عن المسئولين. إننا إذ نسمح لأنفسنا بأن ننزلق إلى ما يدفعوننا اليه نكون قد قبلنا الهزيمة فانهزمنا. وقد تفاجئنا الأحداث بقتال جديد فلا نستطيع إلا أن نكون ضحايا مباحة للقتل والتدمير ومزيد من الأذلال والعار. وقد لا نفيق حينئذ إلا وقد امتدت إسرائيل من الفرات إلى النيل. لهذا يجب أن يصمد الشباب العربي وأن يظلوا مشتبكين مع أعدائهم وأن يعدوا أنفسهم لقتال جديد حتى " تزول آثار العدوان ". وأية محاولة لصرفهم إلى غير هذا الهدف الملحّ تخريب قد يبلغ حد الخيانة وقد يكون خيانة مأجورة وسيأتي هذا التخريب من جانب الأعداء والمتآمرين تخطيطاً عدوانياً في جبهة الحرب النفسية التي لم تهدأ والصراع فيها ذو نتائج حاسمة . وقد يأتي من المتخاذلين الانهزاميين الذين سيملأون المقاهي والصالونات حديثآ " دراماتيكياً " عن آرائهم التي صدقت وتنبؤاتهم التي وقعت ليثبتوا أنهم أبرياء فلا مبررللإسهام في معركة لم يكونوا أصحابها منذ البداية. ولكن القدر الأكبر من هذا التخريب سيأتي من الأقليمية الجريحة. إنها كما قد تندفع إلى القتال الوحشي دفاعآ عن وجودها، قد تبحث عن فرصة أخرى للحياة بالهرب من مواجهة المعركة. وليس كل الأقليميين سواء وإن كان وجودهم هو- وسيظل- الباعث الأقوى على استمرارهم في المعركة أو هربهم منها. فلينتبه الشباب العربي لهذا وليحل بكل قواه دون هرب الأقليمية من المعركة، ومساومة الأعداء والمتآمرين على وجودها.

إن كل هذا يقتضي من الشباب العربي أن ينظموا صفوفهم، ويتولوا أمر أنفسهم وأن يقودوا- هم- المعركة. ولكن حذار من المثالية. إن تصفية الأقليمية واجب قومي حتى لا تجر أمتنا مرة أخرى للهزيمة والقتل والتدمير والألم والحزن والعار، ولكن ليس الآن وقت تصفية الأقليمية. ليس هذا أوان البحث عما يجب أن يكون والتخلي عن الممكن المتاح، إنما هو أوان استعمال الممكن إلى أقصى حدود إمكانياتنا لإنقاذ ما يمكن انقاذه. إن المعركة عامل ضغط قوي لتتخلى الأقليمية عن وجودها المحتضر، وعودة الجمهورية العربية المتحدة بالذات عامل حاسم في قلب موازين المعركة، ويمكن للشباب العربى أن يحقق من هذا وذاك ما تتطلبه إزالة آثار العدوان، ورد الثقة إلى الجماهير العربية في مقدرتهاعلى تحقيق النصر من قلب الهزيمة. ولكنه على أي حال ليس أوان الانقضاض علي الأقليمية وسحقها أو إسقاطها بما يتطلبه هذا من صراع في الجبهة العربية. كما أنه ليس وقت تلفيق وحدة عربية بمنطق الأقليمية والأقليميين تحت ضغط الخطر القائم لتنفصل بعد زواله. وغدآ أو بعد غد، طال الزمان أو قصر، سيصفي الشباب العربي حسابه مع الأقليمية المدمّرة. أما الآن فلتكن الدول الأقليمية أدوات في أيدي الشباب العربي لتكون لهم المقدرة بعد تصفية آثار العدوان على تحطيمها. إن الدول الأقليمية- الآن- هي الأدوات المتاحة في معركة لا تزال محتدمة ، فلتبق أدوات ولكن لتكن الإرادة للشباب العربي . إرادة الصمود. إرادة الاستمرار في المعركة. إرادة إزالة آثار العدوان. وليفرض الشباب العربى هذه الإرادة على الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين جميعاً. إن هذا يقتضي أن تتحول أيديهم المتعددة إلى قبضة ضاربة واحدة، وأن تتجسد إرادتهم العديدة في أداة مريدة وان تتكامل جهودهم في تنظيم قومي ثوري واحد يمثل إرادتهم ويفرضها.

فما العمل؟

٥- مرة أخرى- ودائماً- من الممكن إلى مايجب أن يكون . من الواقع إلى المستقبل. إن التخلي عن الاشتباك مع العدو في المعركة الي تدور الآن لمحاولة خلق تنظيم قوي يحقق الوحدة ليتدارك مافات مثالية عقيمة. إن كثيرين من الانهزاميين سيفرّون من المعركة بحجة التحضير للجولة القادمة. إن هذا هروب لأن الجولة القائمة لم تنته بعد والمعركة لا تزال مستعرة. وكل ما يتمناه اعداؤكم الآن أن تتخلوا عن الاشتباك معهم ولو عدتم إلى ما استنفدتم فيه وقتاً غالياً وبددتم فيه جهداً ثميناً : الحوار مع الأقليمية دولا وأحزاباً وأفكاراً حول كيفية تجسيد وحدة الثوريين العرب

في تنظيم قومي واحد . لقد كان على الشباب العربي- دائماً- أن يكفّوا عن وهم الوصول إلى اتفاق مع الأقليميين من خلال الحوار. كان عليهم دائماً أن يعرفوا أن أحداً من أعداء الأمة العربية لن يسمح لهم غالباً بأن يوحدوا إرادتهم في تنظيم قومي واحد ليوحدوا وطنهم في دولة عربية واحدة . لقد كان ذلك وهماً قبل المعركة، أما الآن فهو هروب من المعركة. إن واجب الشباب العربي الآن أن ينتظموا في كتائب مقاتلة ومناضلة في المعركة القائمة وأن تنسق الكتائب في كل منطقة جهودها لتنمو من خلال المعركة وفي حدود أغراضها: الصمود والاستمرار حتى تزول آثار العدوان. والساحة تقدم إلى الشباب العربي مهمات غير محدودة للنضال الذي يصهر إرادتهم ويصقل مقدرتهم ويدرب صفوفهم على النضال الجماعي المنظم في أسوأ الظروف. إن مهمة الشباب العرب الآن أن ينصروا أمتهم في وضعها المهزوم . فلينتظموا عشرات في كتائب الأنصار وليشتبكوا مع أعداء أمتهم في كل المجالات المتاحة اقتصادياً وفكرياً ودفاعياً واجتماعياً، وفي القتال المسلح إن عاد الاشتباك المسلح، وبالعنف المدمر لكل مصالح أعداء هذه الأمة و عملائهم ، وهذه مهمة لن تنتهي حتى إزالة آثار العدوان.

على كتائب الأنصار أن تنتظم وتتحرك معاً في وحدات متماسكة لتحرك الجماهير وتنظمها وتقودها إلى أن تكون القيادة في الوطن العربي للجماهير العربية. وليحذر الشباب العربي من الأقليمية في كل الظروف، فهي غير أمينة على أسرار النضال الجماهيري. وهي هي التي ستتصدى غداً أو بعد غد لهؤلاء الشباب لتحول بينهم وبين الاستمرار في النضال المنظم. وليولد التنظيم القومي الثوري من تفاعل وتعاون والتحام كتائب الأنصار خلال المعركة فكذلك يملك الشباب العربي أسباب النصر النهائي حتى وهم في الوضع المهزوم .

وعندما تزول آثار العدوان عندما تسترد الأرض التي احتلت أخيراً - دبلوماسياً أو بقوة السلاح- سيبقى أثر لن تستطيع قوة على الأرض أن تمحوه أو أن تعوض الأمة العربية عنه: الألم والحزن والعار الذي أحاط بحياة جماهير أمتنا وحاول إذلالها في هذه الأيام السوداء. بكاء الأطفال الأبرياء ، صراخ الأمهات الثكالى. استغاثة الآباء العاجزين. فزع الأخوة والأبناء في الصحارى والمدن والطرقات تحت نيران القوة الباغية. ثم دموع الرجال تحت ضغط العجز والمذلة والعار. نعم دموع الرجال. على الشباب العربي الأ ينسوا أنه في أسبوع أسود من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بكى الرجال من العرب كالنساء تماماً وهم يرون خنجر الأذلال في جسم أمتهم الحي ، وهي لا تستحقه ، وهم عاجزون عن دفع الذل عنها. ليست هناك قوة على الأرض - أيها الشباب العربي - قادرة على أن تمحو هذا أو أن تعوضه. ولكنكم قادرون.

فما العمل؟

٦- فليحذر الشباب العربي غده القريب. فغداً سيتفق الأعداء والأصدقاء والمحايدون؟ سيتفق كثير من العرب وكثير من أعداء العرب ، سيتفق المتخاذلون والمنهزمون والمتآمرون، ستتفق الدول الأقليمية الرجعية والتقدميه على أمر واحد . أمر واحد سيجمعهم مع إسرائيل ذاتها بالرغم من كل ما حدث هو أن يحملوا الشباب العربي على أن ينسى ما حدث . غداً سيدعم الأصدقاء صداقتهم سياسياً ومادياً وأدبياً وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن الأصدقاء المنقذين ، وعن الاعتراف بالجميل ، وعن سخافة الاستقلال والحياد في عالم يديره الكبار، وعن خطأ عدم الانحياز، وعن أكذوبة القومية . غداً سيحاول الكثيرون أن يقلبوا الصداقة إلى تبعية. وغداً سيعرض الأعداء والمتآمرون بضاعتهم ومعوناتهم، ويمدّون إلى الأمة العربية أيديهم الغنية الملوثة بدماء أبنائها وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن التحالف مع الذين لم يخذلوا حلفاءهم ، عن التماس الرخاء عند القادرين عليه، عن الاحتماء بمن لهم القوة القادرة على الحماية. وغداً ستحاول الأقليمية أن تخدع الأمة العربية مرة أخرى وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن إعادة البناء

الأقليمي وعن القوة الذاتية الأقليمية. غداً سيحاول الأقليميون دولاً وأحزاباً؟ مثقفين وحكاماً ومرتزقة، اشتراكيين ورأسماليين وانتهازيين، أن يجهزوا الأمة العربيه للألم والحزن والعار مرة أخرى ، وأن يحضروا عيون الرجال لمزيد من الدموع. غداً سيعودون إلى الجعجعة والأكاذيب و الادعاء والنفاق وسيكون هذا تحت شعار الإعداد لجولة أخرى. غداً ستحاول الأقليميه أن تحمل مسئولية أخطائها وتخاذلها وتآمرها لجماهير أمتنا العربية ولأبنائها في القوات المسلحة ، وتدنس شرف الأحياء بعد أن هدرت أرواح الموتى، لتصبح الأقليمية بريئة فتبقى ممثلة لإرادة الجماهير و قائدة لها ولتختلق أسباباً جديدة لقهر الجماهير واستغلالها. وسيكون كل هذا تحت شعار الإعداد لجولة قادمة. وقد يأتي الغد بعد أن نكون قد رددنا اللطمة لإسرائيل واستردت القوات العربية الأرض التي اغتصبت أخيراً " فتعود أصوات الطبول وأهازيج النصر ويتسابق المنافقون والانتهازيون والمرتزقة لوضع أكاليل الغار على الجباه التي عادت إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، كأنها لم تذل جباه الشباب العربي في ذلك اليوم المشئوم.

غداً سيحاول الأصدقاء والأعداء والمحايدون، ستحاول الأقليمية وتحاول إسرائيل ، بكل وسيلة مادية أو فكرية أو عسكرية أن يعودوا بالأمة العربية إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى يقبله الشباب العربي وينسى ما حدث. وعندما ترون- غداً- أن كل الجهود قد وصلت بأمتكم إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وأنها تحرضكم على قبوله فستعلمون علم اليقين أن كل ما حدث أخيراً، وكثيراً من الأحداث العربية والدولية التي مهدت له، لم يكن مقصوداً به تدمير قواتكم أو قتل أخواتكم واخوانكم، أو احتلال المزيد من الأرض المحتلة بل كان مقصوداً به- على وجه التحديد- إذلال أمتكم لكي تقبل الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو)١٩٦٧ أي أن تقبل الهزيمة فتقبل وجود دولة إسرائيل.

فليحذر الشباب العربي، وليغضبوا وليضربوا: وليسحقوا كل الذين سيحاولون غداً أن يستهينوا بأمتهم وشهدائها وآلامها وحزنها وعارها، فيبيعوا كل هذا بالعودة إلى ما قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ويفرضوا عليهم وجود إسرائيل. إن اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى مثل الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو اليوم الذي سيواجه الشباب العربي مسئوليته القومية عن تحقيق غايته القومية: زوال دولة إسرائيل .

فماالعمل ؟

٧- على الشباب العربي أن يثبتوا أنهم قد استفادوا شيئاً من محنة أمتهم، وأن يقدموا من وعيهم وصلابتهم ونضالهم عزاء للأمة العربية عن أرواح شهدائها. على الشباب العربي الذين يفلتون من الدمار والموت أن ينذروا ما بقى من حياتهم ليحولوا دون أن يتعرضوا هم ، أو يتعرض أبناؤهم للدمار والموت والعار مرة أخرى . وإذا كان الدمار والموت والعار قد أصاب الأمة العربية في يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فلتكن رسالة الشباب العربي ألا ترى الأمة العربية في تاريخها مثل هذا اليوم مرة أخرى . وألا يبكي الرجال كالنساء مرة أخرى. وألا نستدرج إلى معركة لنكون ضحاياها مرة أخرى. وألا يخوض الأبناء والأخوة من القوات المسلحة معركة يقودها غيرهم مرة أخرى . لتكن رسالة الشباب العربي ألا يسمحوا مرة أخرى بأن يكون مصير الأحداث التي تدور على أرض وطنهم العربي الكبير معلقاً بإرادة غير إرادة الجماهير العربية. إذا كان الشباب العربي يريدون ألا ترى أمتهم يوماً كيوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، فلتكن رسالتهم أن يحولوا دون أن يقع في تاريخ أمتهم يوم كيوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧. لتكن رسالتهم أن يحققوا لأمتهم الوجود السياسي الذي يفرض صداقته فلا يخذله الأصدقاء ويفرض مقدرته فلا

يستهين به الأعداء ويفرض إرادته فلا يستطيع الأصدقاء والأعداء معاً أن يقرروا من أمره ما لا يريد . ويملك من القوة ما يحطم حاجز الحماية الذي تختفي وراءه إسرائيل ويزيل دولتها.

لتكن رسالة الشباب العربي أن يسقطوا الأقليمية ويقيموا دولة الوحدة.

أيها الشباب العربي.

أعدّوا من قلب المعركة لمسيرتكم القومية، وعندما يأتي اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لتبدأ مسيرتكم على الطريق إلى الوحدة العربية .

والسلام عليكم وعلى وطنكم العربي الكبير، ورحمة الله على شهداء أمتكم الأبرياء وبركاته على نضالكم من أجل الوحدة...

(٢٦ حزيران- يونيو- ١٩٦٧)

الرسالة الثانية

رسالة الى الشباب العربي- ٢-
في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩

أيها الشباب العربي،

السلام عليكم وعلى وطنكم العربي وبعد،

فما العمل؟

١- انقضى عامان طويلان منذ هزيمة ٥ حزيران(يونيو) ١٩٦٧ فتحولت فيها الهزيمة الغريبة إلى حياة كئيبة. وصدق ما توقعنا منذ عامين لأن النظرة القومية لا تخطئ أبداً. فمنذ اليوم المشئوم وإسرائيل ، دولة الصهيونية ، تحتل الأرض التي غزتها فأخلتها ممن أرادت من جماهيرنا العربية ، ثم استعمرتها بشرياً بمن نقلتهم اليها من الصهاينة المجرمين. ويعدّون من القوة ما يعدّون، وهم يديرون معركتهم الدبلوماسية على أساسها الصهيوني الصريح بغير مناورة أو مغامرة. إنهم يعلّقون أي حديث عن مستقبل الأرض التي احتلت على قبول الجلوس اليهم في مفاوضة مباشرة، ولا يزيدون عن هذا حديثاً، ويزيدون عليه إصراراً. والمفاوضة كما نعلم وكما يعلمون ليست طقوساً بغير دين وليست شكلا بغير مضمون، إذ هي تعني التسليم بالوجود الإسرائيلي في الأرض العربية وهذا هو ما يبغون. ذلك لأنهم يعرفون كما يعرف القوميون من العرب أن المعركة بيننا وبين الصهاينة ما دارت ، ولا تدور، ولن تدور " من أجل أرض وراء أو أمام خط الهدنة. لسنا نقاتلهم من أجل مدن أو صحارى . لسنا نقاتلهم من أجل مكاسب اقليمية. إنما نخوض ضدهم معركة غايتها أن تزول دولة إسرائيل. وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الأرض. وقد نسترد بعضها . قد نتقهقر. وقد نتقدم. ولكن التقهقر لن يكون هزيمة. والتقدم لن يكون نصراً. لأن الهزيمة هي أن تبقى دولة إسرائيل ولو رمزاً في قرية، والنصر أن تزول دولة إسرائيل. "

نعم " الهزيمة أن تبقى إسرائيل . أن نقبل وجودها إيان كانت حدودها. ولهذا فهم يعلقون أي حديث عن الحدود على أن نقبل هذا الوجود. وآية قبولنا أن نجلس اليهم في مفاوضات مباشرة. وعندما نقبل نكون قد استسلمنا وانتصرت إسرائيل لأن تلك هي الهزيمة كما تحددها طبيعة المعركة .

وما تزال الدبلوماسية بين الدول الصديقة بقيادة اتحاد الجمهوريات السوفيتية والدول العدوة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، دائرة على المستوى العالمي. والعالم ذاته ما يزال واقفاً على باب ، محادثات الدول الأربع (اتحاد الجمهوريات السوفيتية، والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، والمملكة المتحدة) في انتظار أن تنتهي المباحثات الثنائية بين السوفييت والأمريكيين إلى تقرير ما يجب على العالم بعد هذا ، وعلى أطراف النز اع ، أن يقبلوه ، أو أن ينقّضوا بدون قرار.

وفي العامين طفت على سطح الوطن العربي قطعان من المتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين الذين قبلوا أن يعلقوا مصيرهم ، ومصير فلسطين، ومصير الأمة العربية على ما يدور في أروقة ودهاليز الأمم المتحدة ، وسلمّوا مع المسلمين بحق الدولتين، الصديقة والعدوة، في أن تخطط للبشر ولنا مصيراً تصوغانه " على ما تريان . وهما لا تريان إذ تريان إلا من خلال مصالحهما القومية. وهكذا تتابع طغمة ذليلة من العرب أخبار المباحثات وينتظرون منها في كل يوم أن

تنتهي إلى قرار يفرض على أمتهم فيقول الذين ظلموا أنفسهم قد قبلنا ما لا طاقة لنا بـه مكرهين . نعم، أيها الشباب العربي، إن قطعاناً من المتآمرين والمتخـاذلين والمنهزمين، ورعـاتهم، يعيشون اليوم على أمل وحيد لا يأمله غير العبيد: أن تضع الدولتان إتفاقآ مع الدولتين قراراً وأن تفرضـاه على الأمة العربية وعلى إسرائيل. وقد رفضت إسرائيل . أما هم فينتظـرون. أملهم أن يهزمـوا " بشرف " من الدول الأربعة فلا يقال هزمتهم إسرائيل !. ولكنهم علـى أي حـال قد قبلـوا الهزيمـة وليس في الهزيمة شرف لو كانوا يعقلون.

أما الدول العربية الإقليمية فقد أنشأت فيما بينها حلف الخرطـوم " لإزالـة آثـار العدوان " منذ آب (أغسطس) ١٩٦٧ وبعضها يبذل من ماله وبعضها يبذل من كلامـه وبعضها يعدّ للمعركـة مـا يستطيع من قوة. وأقصى مـا تريد أيّ منهـا أن تعود الأرض التـي فقدت اثـر هزيمـة ٥ حزيـران (يونيو) ١٩٦٧. وقد أعلنت الدول الاقليميـة أن تلك هي حـدود معركتهـا ضد إسرائيل: أن تعود الأمور في الأرض المحتلة إلى ما كانت عليه قبل ٥ حزيران (يونيو)١٩٦٧ . ألم نقل من قبل ان هذا ما سيعلنون ؟ أو لم يطلبوا انسحاب إسرائيل من الأرض التـي اغتصبتها أخيرآ كشرط أولـي للبحث في الحدود الآمنة للأرض التـي اغتصبت أولاً ؟ بلـى. تلك إذن مساومة خائنـة ان صـدقت الدول فيما تقول. وتلك مناورة فاشلة ممن يعولون على المناورات السياسية فـي معـارك المصير. وجوهر الأمر أن الدول العربية الأقليمية في مأزق من طبيعتها الضيقة لا تعرف كيف تخرج منه وإن كان ثمه محاولة مخربة للإفلات والخروج !. فالحلف العربي الأقليمي يجد نفسه علـى أرض صلبة وهو يدافع عن حقه فـي أرض " أوطانـه " المحتلـة.. فهو هنـا مؤمن وواثق عنيد. ولكنـه عندما يواجه قاعدة العدوان في فلسطين المحتلة تخذله منطلقاته الأقليميـة التـي تضع " فلسطين " خارج حدوده " الوطنيـة ". والجمـاهير العربيـة بالمرصـاد. فهـو لا يستطيع أن يتحدى الجمـاهير العربية فيخون قضيتها القومية جهاراً ويسلم بـالوجود الإسرائيلي وإن كـان ثمـة مـن يخونـون فـي الخفاء. وهو لا يستطيع أن يفلت من الحصر الأقليمي فيرفض ذلك الوجود ويخوض المعركـة على أساس طبيعتها القومية ، وإن كـان ثمـة مـن يرفضـون علـى استحياء وينـاورون جميعـاً علـى إرادة الغاصبين. فإن قبلت إسرائيل الجلاء وعودة من يشاء من اللاجئين قبلنـا وجودهـا وحـدوده الآمنة، وما دامت إسرائيل لا تقبل ما نقول فكأننا لم نقل ولـم نقبـل شيئاً . إنمـا هـي منـاورة نكسب بها الرأي العام العالمي بدون أن يصيبنا من ذلك ضرر ولو يسير. ويحاجون بقرار مجلس الأمـن الـصادر فـي ٢٢ تـشرين الثـاني (نـو فمبـر) ١٩٦٧ ذي الـصيغة " الإنجليزيـة " المدربـة علـى المماطلـة فهو يمتص الغضب ، ويثير الآمـال الكاذبـة ، وينقل المعركـة إلـى سـاحات المنـاورات السياسية ، ليتـرك للزمـان الـضائع فـي فـك رمـوز الألفـاظ مهمـة تثبيـت الأمـر الواقـع . وهـذا مـا يفعلـون. حجتهم فـي هـذا أن قـرار مجلـس الأمـن يعلـق فقراتـه بعضها فـوق بعـض وأول فقراتـه الانسحاب من الأرض المحتلة والعودة إلى حدود مـا قبل العدوان الأثيم. إن كـان ذكـاء فهـو غيـر ذي مضمون . إذ تلك مقامرة عقيمة خاسرة. عقيمة ظافرة. فإن قبلت إسرائيل وعادت الأمور إلـى ما كانت عليه فشلت المناورة وبقيت إسرائيل. وإن رفضت إسرائيل ظـل الوضـع كمـا هـو وبقيت إسرائيل. ويتوقف الأمر بعد هذا على مقدرة الدول الاقليمية على تحرير الأرض التـي فقدتها بعد هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. فإن استطاعت تحريرها استردتها وبقيت إسرائيل . وإن لـم تستطع فقدتها وبقيت إسرائيل وهكذا تبقى الدول الاقليمية ، كما كانت دائمـاً ، عـاجزة عن النـصر في معركة المصير. والنصر أن تزول دولة إسرائيل.

إن كل ما تبذله الدول العربية الاقليمية من أجل العودة إلى حدودها مبـارك فـي حـدوده . لا تثريـب عليها ولا على القوى القومية في أن تد عمها " لإزالة آثار العدوان " ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . غير أن هذا لا ينهي المعركة ، ولا يغير طبيعتها. فسيبقى النصر العربي متوقفاً على زوال دولـة إسرائيل ، ولن تقبل الجماهير العربية عن هذا بديلاً . ففيم المناورة ، وفيم المقامرة ؟ كسب الـرأي العام العالمي؟.. لقد خسرناه يوم أن خسرنا المعركة فلنكسبه كما كسبه المناضلون في كل معارك

التحرير. بالإيمان بالحق " ورفض المساومة والكفاح المرير. ثم ماذا أنتم فاعلون لو كسبتم الرأي العام إلى الحد الذي تحلمون ، فأكره إسرائيل على أن تحقق لكم الفقرة الأولى وانسحبت إسرائيل ثم قال هاتوا ما عندكم من فقرات؟.. هل تقبلون غداً ما تعلنون اليوم وترتضون الوجود الإسرائيلي في حدود آمنة ؟ بأي حق؟ أم تنكلون فتخسرون مغامرة ما كسبتم مقامرة ؟ اليس الحق أحق بأن يتبع أم أن الاقليمية قد سلبتكم الإيمان بأن لكم في فلسطين حق المواطن في وطنه السليب؟ هو كذلك وتلك محنة الاقليمية و مأساتها .

غير أن العجز الاقليمي قد انقلب في عامين إلى تخريب غبي عندما شملت مناوراته وحدة الوجود القومي وطناً وبشراً. الاقليمية الجريحة المهزومة ، التي تكافح من أجل البقاء ، قد تجاوزت حدودها فكراً وحركة وأطلقت من مأزقها شعار الاقليمية : إن مسئولية تحرير فلسطين تقع على عاتق شعب فلسطين. إن هذا- أيها الشباب العربي- ليس تحريضاً للشعب العربي في فلسطين على القتال. إن المنطق القومي يوفر له أكثر من هذا سبباً لتحرير الأرض السليبة بما يوفر له من إمكانيات النصر. والشعب العربي في فلسطين ، بعد، صاحب الأرض المغتصبة، وصاحب الحق في استردادها، وعليه مسئولية تحريرها، لأنه بعض الأمة العربية فهو مسئول عن تحرير بعض الوطن العربى، أو لأنه شعب فلسطين المحتلة فهو مسئول عن تحرير وطنه. يستويان محرضاً على القتال . ليس هذا إذن ما يريد الاقليميون . ذلك أنهما يفترقان فيما يتصل بقوى تحرير فلسطين . فالمنطق القومي يحمل مسئولية تحرير فلسطين للجماهير العربية في كل مكان بما فيه فلسطين. أما المنطق الاقليمي فيفتح باب الهروب من المسئولية أمام الاقليميين من غير فلسطين . وهذا ما يريد الاقليميون . ويفترقان فيما يتصل بساحة المعركة . فالمنطق القومي يحدد فلسطين ساحة لمعركة التحرر العربي فلا يقبل أن يتخلى عنها من أجل الحفاظ على أي إقليم. أما المنطق الاقليمي فيبرر التخلي عنها إن كان فيها خطر على الاقليم. وهذا ما يخافه الاقليميون . ويفترقان في مدى معركة تحرير فلسطين. فالمنطق القومي يأخذ منها منطلقاً ثورياً إلى دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية. دولة المناعة، دولة الرخاء، دولة الحرية. أما المنطق الاقليمي فينتهي بها عند إضافة دويلة أخرى إلى الدول الاقليمية ، تكون دعماً للوجود الاقليمي ، وتثبيتاً للتجزئة ، وعقبة في سبيل الوحدة وهذا ما يتمناه الاقليميون. إنهم إذ يرفعون شعار الاقليمية على رايات المعركة لا يحرضون على القتال ، إذن. بل يفتحون معركة ضد القومية. معركة جانبية.

لقد كان على الاقليميين أن يلتزموا ضرورات المرحلة فيقصروا مناوراتهم على استرداد الأرض التي فقدوها. لا أحد يطالبهم بأكثر من هذا. وفي هذا تساندهم كل القوى العربية القومية. إن ضرورة النصر على العدو المشترك كفيلة بأن ترجىء الصراع بين الحركة القومية والتحركات الاقليمية إلى أن تتحرر الأرض المحتلة لنرى بعد هذا لمن تكون الأرض التي تحررت، ألـلأ مة العربية أم للاقليمية في فلسطين. وقد التزمت القوى القومية ما وعت من ضرورات المعركة فصمدت وصبرت وما تزال صامدة صابرة على استفزازات الاقليميين. ولكن الاقليمية مستغلة وانتهازية بطبيعتها. فها هي تحاول أن تفتح معركة، ولو فكرية ، في جبهة القوى الموحدة ضد الصهيونية. ها هي تحاول أن تستغل المعركة لتكسب لمنطقها المخرب أرضاً جديدة باسم المعركة: ها هي تلقي على الشعب العربي في فلسطين وحده مسئولية المعركة الضارية ضد إسرائيل . إسرائيل دولة الصهيونية العالمية وأداة الامبريالية العاتية. فانظروا لو انهزم الذين يجسدون فيهم فلسطين الاقليمية ؟ عندئذ يقولون كما قالوا بعد سنة ١٩٤٨: خذل شعب فلسطين قضيته وما كنا إلا رديفاً مساعداً فنحن غير مسئولين . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا. وهل تركوا للجماهير العربية ، في أي مكان، وفي أي زمان، وحتى الآن ، فرصة التصدي لحمل مسئولية قضاياها؟ فليتركوا ان كانوا صادقين.

إن الذين طردوا من أرض فلسطين وفقدوا فيها المال والبنين والأمل في حياة أفضل، والذين يعيشون مقهورين تحت وطأة البغي الصهيوني في الأرض المحتلة ، أولئك لهم في القتال حياة ولا يملكون دون هذا خياراً. لهذا كان الشعب العربي في فلسطين أكثر المناضلين بلاء في الحرب ، وصبراً على القتال ، وعزماً على النصر، وتلك خصائص تحيل الناس طلائع ثورية . كذلك كان الشعب العربي في فلسطين مرشحاً ليكون الطليعة الثورية في حرب التحرير العربية. إلا أن هذا ليس هوية اقليمية . فحيث تكون ساحة المواجهة يكون الطليعيون. ولا يغير هذا من طبيعة المعركة ضد الصهيونية ودولتها إسرائيل فيقلبها من معركة التحرير العربي في فلسطين إلى معركة التحرير الفلسطينية . كلا. إنها معركة الأمة العربية. على هذا الأساس وحده تتحدد قوى المعركة، وتتحدد ساحتها، وتتحدد غايتها. وعلى هذا الأساس وحده ، وليس على غير هذا الأساس ، سيتحقق النصر العربى في فلسطين وتزول دولة إسرائيل . أما " إزالة آثار العدوان " فهي خطوة . وهي خطوة مشتركة. ومن أجل النصر فيها يحافظ القوميون على وحدة القوى ، ويصبرون على استفزازات الاقليمية وتخريبها الغبي ويتعاونون معها ضد العدو المشترك. وغداً بعد النصر سيكون يوم الحساب. وإن غداً لناظره قريب.

٢- وهكذا في عامين نضح كل إناء بما فيه ، وأعطى الأصدقاء والأعداء والمتآمرون والمتخاذلون كل ما عندهم. ولم يتغير شيء. وأعطت الاقليمية كل ما استطاعت . ولم يتغير شيء. فما يزالون جميعاً في المواقع التي دفعتهم اليها الصهيونية في نهاية الأسبوع الأسود من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. والحياة تزداد مرارة.

فما العمل؟

٣- قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت بعض الدول العربية قد نسيت فلسطين. وكان بعضها يخطط لتفادي معركة متوقعة ضد إسرائيل دولة الصهيونية. فرفع المخططون شعار " حرب التحرير الشعبية " وأتاحوا لبعض الراغبين من أبناء الشعب العربي في فلسطين أن ينتظموا في مجموعات تعدّ نفسها للقتال . وسمعنا حينئذ عن منظمات للفدائيين. لم يكن ثمة شك في نوايا الشباب ، ولكن نوايا المخططين كانت موضع شك كبير. وآية هذا أن جهداً ما، أي جهد، لم يبذل ولم يخطط ، لا لمساندة الشباب المقاتل فهذا كثير، بل حتى لتأمين قواعد لتدريبهم وانطلاقهم وعودتهم . أعلنت بعض الدول العربية معركة التحرير الشعبية بأكبر قدر من الصخب والضجيج ، وأتاحت لبعض الشباب أن يعدوا أنفسهم للقتال قدر ما يستطيعون ، وما كانوا يستطيعون غيرالقليل ، ثم لم تفعل شيئاً وآثر الحاكمون أن يختفوا وراء جدار من الشباب المناضلين واهمين بأنهم في مراكزهم وراء الطلائع في مأمن من القتال وغير مطالبين به. وأنذرت إسرائيل بأنها لن تسمح لمنظمات الفدائيين بفرصة النمو أو التكوين وانها معاقبة الحكومات التي تختفي وراء الفدائيين. وكان ذلك إنذاراً لا تخفى دلالته ، فإن تكوين ونمو منظمات الفدائيين كان يعني أنه قد تملك الأمة العربية فيهم قوة جماهيرية ضاربة غير مقيدة بقيود الاقليمية. ونفذت إسرائيل وعيدها في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وقبل مضي أسبوع واحد كانت الهزيمة قد حلت بالقوى الأقليمية بعد أن فقدت مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء. لقد قيل الف مرة ان إسرائيل كانت تستهدف إسقاط نظم الحكم ذات الاتجاهات التقدمية الاشتراكية. وقد يكون هذا من بين أسباب التحالف العدواني بين الصهيونية والامبريالية، على أن تكون التقدمية مساوية للقومية وعلى ألا تكون الاشتراكية على حساب الوحدة. وبعيداً عن هذا لإسرائيل مخططات عدوانية استراتيجية تبغي من ورائها أن تقوم لها دولة ما بين الفرات والنيل . نحن إذن لا نفتقد أسباباً كثيرة للعدوان الصهيوني. ومع هذا فإن أول ما كانت تستهدفه إسرائيل في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو سحق تلك النواة ، بل بذرة النواة، التي كانت تحملها رؤوس الفدائيين كانت تستهدف القضاء منذ البداية على اتجاه جديد ، كفيل في النهاية بأن يمحو إسرائيل. كانت تستهدف أن تحول بين الأمة العربية

وبين أن تخوض معاركها بقوتها الجماهيرية القومية ، المتحررة من الحصر الاقليمي. بذرة ناشئة لو نمت نمواً صحيحاً لامتصت الحياة من إسرائيل . واتجاه في أوله لو امتد مستقيماً لدكت أقدام المناضلين فيه الوجود الإسرائيلي في فلسطين . فمن أجل تأمين وجودها قبل أن تتحول البذرة إلى نواة ثم تنمو، ومن أجل إرغام العرب على الاعتراف بهذا الوجود قبل أن يتحول الاتجاه إلى حركة ثم ثورة، حاربت إسرائيل معركة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧..

فهل حققت ما أعلنت واستهدفت؟

أما العقوبة فقد تمت. أما عن الأمة العربية ممثلة في تلك الحفنة من الشباب الذين كانت كل مميزاتهم أنهم لا ينتمون إلى دولة اقليمية، فانظروا الروعة والبطولة وأصالة أمتكم العربية ومقدرتها عندما تفلت قواها من أسر الاقليمية . هرب المختفون وراء الجدار تحت وطأة اللطمة الباطشة، وانجلت المعركة وإذا ببذرة المقاومة العربية الجماهيرية، المتحررة من الانتماء إلى دولة اقليمية، هي وحدها التي تستمر في القتال فلا تقبل ولا تنفذ قرار إيقاف إطلاق النار. ثم إذا هي تنمو وتتعاظم فتصبح هي وحدها الطرف الإيجابي في القتال المستعر على الأرض المحتلة. وإذا هي وحدها التي تكسب ، بدون مناورة أو مقامرة، الرأي العام العالمي.

في لحظة تاريخية حاسمة، كانت كل الظروف العالمية والاقليمية، المادية والبشرية والنفسية، تنبىء بأن البذرة الناشئة قد أحرقت في نيران المعركة القصيرة، وأن الاتجاه الجديد قد دفن تحت جحافل المدرعات، قهرت حفنة مؤمنة من الشباب العرب الظروف القاسية وخرجت من المعمعة المفاجئة أكثر نمواً وأكثر صلابة وأكثر مضاء.

وفي الوقت ذاته، في يومين حاسمين من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت كل الظروف العالمية والاقليمية، المادية والبشرية والنفسية، تنبىء بأن الأمة العربية قد سحقتها الهزيمة المذهلة، وأنها إذ فقدت دولها وجيوشها وأعز أبنائها، وبعض أرضها لا بد خاضعة ومستسلمة. فما الذي حدث ؟... من بين دخان المعركة الأسود ، ومن ذات المواقع المتردية التي انهارت فيها الاقليمية خرجت الملايين من جماهير الأمة العربية ، الذين لا يملكون حينئذ إلا اصالتهم وإرادتهم ، فسدوا سبل التراجع والنكوص وفرضوا الثبات والصمود والمقاومة.

تلك هي جماهير الأمة العربية. من الحفنة المناضلة الى الملايين الصامدة.

ولكنها لم تكن مجرد جماهير. كانت جماهير متحررة من قبضة الاقليمية ، وتلك هي منابع المقدرة التي لاتهزم. فإن ماروا في هذا فاضربوا لهم مثلا ذات الجماهير منظمة في إطار الاقليمية.. هل استطاعت أن تفعل شيئاً لتحول دون أن تستدرج إلى المعركة الخاسرة. بل هي استطاعت، وهي محشودة تهتف وتصفق ، أن تعرف شيئاً عن الطريق التي كانت مسوقة اليه هاتفة مصفقة . أبداً . كانت جماهير سلبتها الاقليمية المسيطرة حتى إمكانيات معرفة المصير المسوقة اليه. كانت جماهير مسلوبة الإرادة داخل جدران سجن الاقليمية. فلما أن تصدع الجدار وأفلتت الجماهير من سجنها استردت أصالتها، وإرادتها، وواجهت الأعداء والمتخاذلين عملاقة لا تخضع ولا تهزم ولا تلين. واضربوا لهم مثلا " منظمة التحرير الفلسطينية ". فمن قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بسنين تمخضت مؤتمرات القمة فولدت ما أسماه آباؤه " الكيان الفلسطيني " وجسدوه في منظمة التحرير الفلسطينية. والكيان الفلسطيني كما صاغه مؤتمر القمة وكما جسدته المنظمة هو دولة فلسطين الاقليمية بدون اقليم. والمنظمة جماهير وقواعد وكوادر وقوى وقيادات وأحمد الشقيري . لقد كانت أكثر عدداً وأوفر عدة من أية منظمة جماهيرية في الوطن العربي. وملأ الشقيري الأرض ضجيجاً ، وصال وجال ولكن داخل أسوار الحصر

الأقليمي التي فرضتها الطبيعة الأقليمية لنشأة المنظمة. كانت المنظمة أسيرة ولائم الأ قليمية العربية التي أنشأتها ، ولم تحقق المنظمة من أهدافها المعلنة شيئأ. ولم يهتم أحد بما ادعت تحقيقه. ولم تحرك إسرائيل ساكناً. ذلك لأن الأقليمية تشل مقدرة الجماهير ولو كانت في منظمات ذات قواعد وكوادر وقوى وقيادات . فإذا بالجماهير في قيود الأقليمية عاجزة عن أن تكون خطراً عاجلا أو آجلا على إسرائيل. أما عندما اجتمعت في تاريخ معاصر لنشأة " منظمة التحرير الفلسطينية " حفنة من الشباب كل مميزاتها أنها لم تكن تنتمي إلى أية دولة اقليمية فهي جماهيرية خالصة ، انتبهت اسرائيل فوراً إلى ما تمثله تلك المبادرة من خطر على وجودها، ولو في المدى الطويل ، فتوعدت ، ثم قاتلت حتى لا يكتمل الخطر نمواً.

ليس أعداؤنا من الأغبياء. فإن كانوا لا يستشعرون الخطر على وجودهم من الدول العربية الاقليمية، ولا من المنظمات الجماهيرية الاقليمية، فلأنهم يعرفون أن الاقليمية ليست خطراً على ذلك الوجود.. وإن كانوا يخشون حتى الموت الجماهير العربية المتحررة من قيود الاقليمية فلأنهم يعرفون كما نعرف أن تلك الجماهير هي التي ستقضي عاجلا أو آجلا على دولة إسرائيل.

٤- في عامين إذن يبدو أن قد تغير شيء جوهري في الوطن العربي ، وأن قد انبثقت من قلب المعركة قوة جماهيرية متعاظمة الطاقة والإمكانيات والفاعلية . وكأن الأمة العربية قد وضعت قدمها على أول طريق النصر . ولكن ما الذي يحدث الآن- بعد عامين- في صفوف أبطالنا المناضلين ؟ البذرة أصبحت بذوراً. والاتجاه أصبح اتجاهات. والاقليمية المخرّبة تدس سمومها. ويبدو أن قوى الأعداء تريد أن تقطع أوصال شجرة المقاومة الجماهيرية بعد أن فشلت في سحق بذرتها . ويبدو أنها تريد أن تستدرج الاتجاه المستقيم إلى مسالك مرتدة بعد أن فشلت في إيقافه.

اليكم ما حدث.

٥- في الساحة منظمات تابعة لبعض الدول الاقليمية. أو أن إلى الساحة امتدت أصابع الدول الاقليمية في شكل منظمات ترتدي ملابس الفدائيين على أجساد الموظفين . و الموظفون ملتزمون بأن يقولوا ويفعلوا أو أن يكفوا عن القول والفعل طبقاً لماتقرر حكوماتهم ٠ اليس غريباً أن دولا لها حكومات وجيوش وقادة وأموال ولها جبهات مشتركة مع العدو أو أن الجبهات المشتركة مفتوحة لها إن أرادت ، تتلصص في القتال وتستغل إخلاص بعض الشباب المناضلين وحاجتهم إلى ماعندها من مال وسلاح ، لتفرض عليهم أن يكونوا ممثلين لها في ساحة النضال الجماهيري المسلح في الوقت الذي تعفي قواتها المسلحة من عناء القتال ، ويحتفظ البعض بها " شرطة " لحراسة مقاعد الحكم؟.... وما الضرر ما دامت الحصيلة أن شباباً قد وجدوا عدة القتال في الساحة ؟.. الضرر أن هؤلاء الشباب سيجدون أنفسهم ، أرادوا أم لم يريدوا، منفذين إرادة الدول التي ربطتهم اليها بالمال والعتاد وتولت قيادتهم من بعيد عن ساحة المعركة. الضرر أنهم سوف يضربون متى أرادت ويكفّون عن القتال متى شاءت ، سواء اقتضت ظروف المعركة هذا أم لم تقتضه . الضرر أن فصائل من الشباب المناضلين سيتحركون في ساحة القتال الخطير في مسالك ترسمها لهم الدول الاقليمية، فإذا هم فصائل متعارضة، متناقضة ، متصادمة، وإذا بالتجزئة الاقليمية التي فتكت بوحدة الجماهير العربية، تنتقل بكل سلبياتها المخربة إلى صفوف المقاومة لتفتك بوحدة المقاتلين.

وفي الساحة منظمة ذات مقدرة متعاظمة. إنها " فتح ". الجسم النامي لتلك الحفنة الرائدة من الشباب الذين غالبوا الظروف القاسية فغلبوها فخرجوا من بين أنقاض المعركة الخاسرة منتصرين لمقدرة الجماهير العربية انتصاراً تاريخياً . إن ذلك الانتصار قد ربط بين " فتح "

المنظمة وبين ملايين الجماهير العربية التي انتصرت في يومين حاسمين من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في سد طريق التراجع . كل كان مثلا للصمود العربي بطريقته بينما الاقليمية منهارة انهياراً شاملا. وبهذا الرباط أصبحت منظمة " فتح " أملا تتطلع الجماهير العربية اليه، أو أصبحت عند الجماهير العربية أملها الخاص في المستقبل المنتصر. ومنحت الجماهير العربية منظمتها " فتح، كل التأييد بلا حدود . وتحت ضغط هذا التأييد الجماهيري الواسع استحقت " فتح " كل الدعم الذي أعطي لها مادياً ومالياً ودعائياً. واستحقت كل ما كسبت من اعتراف العالم بها قوة ثورة تحريرية ، واستحقت ما كسبت من اعتراف الدول العربية بها قيادة جماهيرية.

ولكن "فتح " النامية في أحضان الجماهير العربية كانت تمثل خطراً نامياً في اتجاهات عدة. كانت تمثل أولا خطراً عاجلا على الوجود الإسرائيلي بما هي قادرة عليه من إنهاك لهذا الوجود حتى تتولى الأمة العربية الإجهاز عليه . ثم كانت تمثل، ثانياً، خطراً آجلا على الدول الاقليمية. ذلك لأن " فتح " النامية، المتطورة خلال تفاعلها مع الجماهير العربية الواسعة، كانت قابلة لأن تصبح نواة التنظيم القومي الثوري الذي تفتقده الأمة العربية منذ زمن طويل ، والذي كان في غيابه من الساحة في السنوات السابقة على ١٩٦٧ السبب الأساسي في الهزيمة المرّة. كانت " فتح " مرشحة تاريخياً لأن تصبح تنظيماً عربياً ثورياً، قومي العقيدة ، قومي المنطلق، قومي القيادة ، قومي القوى ، قومي الغاية لا تتوقف ، مسئولياته عند تحرير فلسطين بل يمضي حتى يقيم في الوطن العربي المتحرر، وعلى أنقاض الاقليمية ، دولة الوحدة الاشتراكية. كذلك كانت " فتح " في أذهان الجماهير العربية التي منحها تأييدها بدون حدود. وكذلك كانت " فتح " مرشحة تاريخياً لأن تكون. وهو ما كان يعني أن " فتح " تمثل خطراً على الاقليمية ولو بعد حين. لا ينفى هذا أن " فتح " قد آثرت أن تتعامل مع الدول العربية، وأن تقبل د عمها وتطلبه ، وألا تثير مع أي من تلك الدول معارك جانبية. ذلك لأن هذا موقف سليم تماماً في هذه المرحلة ومبرر قومياً بغير شروط سوى القومية، وقد قدمت الدول العربية إلى منظمة " فتح " كل الذي استطاعته من دعم وتأييد .

غير أن اهتمام الدول الاقليمية لم يكن مقصوراً على " فتح " اليوم بل على فتح " الغد. " فتح " كما تتطلع اليها الجماهير العربية طليعة للثورة العربية الشاملة. وتعرضت المنظمة الناشئة- خلال عامين- لكل أنواع الضغوط والمناورات السياسية. مثلا كان وجود " فتح " بعد اختبار القوى في معركة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قد ألغى- بكل منطق- وجود "منظمة التحرير الفلسطينية " التي أنشأتها الأقليمية العربية. وكانت ظروف المعركة تقتضي هذا الإلغاء ووضع كل ما تملك "منظمة التحرير الفلسطينية " من مال وعتاد وقوى وبشر تحت تصرف " فتح " بدون شروط. وكان ذلك كفيلا بأن يوفر لـ " فتح " قدراً كبيراً من حرية الحركة في مواجهة الأعداء وفي مواجهة الدول الاقليمية. إلا أن الاقليمية كانت أكثر من هذا دهاء وحنكة. فأرادوا في سنة ١٩٦٨ أن يجعلوا من " فتح " تابعاً للمنظمة. ورفضت " فتح " حينئذ أن تدخل الشرك الاقليمي. فعادوا في سنة ١٩٦٩ وأقنعوا " فتح " بأن تتولى قيادة المنظمة . وقبلت " فتح " أن تحمل على كاهلها الناشيء ميراث الاقليمية الفاشلة . لقد كانت " فتح " أمام اختيار تاريخي وقد اختارت وهي مسئولية تاريخية. ولكن هل تركت الاقليمية لمنظمة "فتح " فرصة الاختيار؟.. هذا سؤال تاريخي أيضاً. لقد عرقلوا انطلاقتها أولا، ثم أوقفوها أمام خيار دقيق ثانياً ، ثم حسموا الخيار لصالح الإقليمية أخيراً . وبدلا من أن يتركوا المنظمة الجماهيرية الناشئة تكمل صياغتها من خلال الواقع الموضوعي لمعركة تحريرفلسطين، يقيناً منهم بأن الواقع الموضوعي سيصوغها صيغة قومية ، جردها الإقليميون من إمكانية التطورحتى لا تكون خطراً عليهم، فأحالوها منظمة تحرير فلسطينية. وإن كان الأمر لم يخرج بعد من يد المناضلين في " فتح " فكما تحدوا في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كل حسابات الأعداء هم قادرون اليوم على تحدي كل حسابات الحلفاء.

وما الضرر ما دامت " فتح " في الساحة تقاتل بقوات " العاصفة لتحرير فلسطين ؟ لا ضرر إلا أن قوى مناضله قد آثرت أن تعمل في الساحة بعيداً عن " فتح " بعد أن كانت منها. لا ضرر إلا أن الجماهير العربية قد عادت إلى بداية الطريق تبحث عن نواة تنظيمها القومي المفتقد. لا ضرر إلا أن مولد الثورة العربية الشاملة قد تأخرسنين. لا ضرر إلا أن " فتح " ستجد نفسها في نهاية المطاف وقد خذلتها الاقليمية في مواجهة ذات الخيار من جديد ، فإما أن تتمرد على الأقليمية وإما أن تقبل الخذلان . لا ضرر إلا أن " فتح " ستجد نفسها ، غداً أو بعد غد، أمام خيار آخر، فإما مع القوى القومية في ثورتها الوحدوية وإما ضد الوحدة في دولتها الفلسطينية. هل يكفي هذا ضرراً ؟..إذا كان لا يكفي فما الذي أصابته "فتح " من أن تكون منظمة تحرير فلسطينية بدلا من أن تكون طليعة ثورية عربية ، حتى مع التسليم بأنهما تستويان مرحلياً في معركة تحرير فلسطين، إلا أنها قد حدّت مقدماً - وبدون مبرر- طاقتها، وقيدت مقدماً - وبدون مبرر- مدى انطلاقتها ؟ انظروا إلى " فتح " النامية كيف نمت ؟ من أية مصادر مباركة تستمد قوتها المادية والبشرية النامية ؟ أمن الأمة العربية أم من فلسطين؟ لماذا إذن " الفلسطينية "؟ إن تكن حذراً من الدول الاقليمية فتلك فطنة مبررة . ثم افتحوا الأبواب لتأخذ الجماهير العربية مكانها من القواعد إلى القمة. وادعوا دعوتكم القومية بدون خشية. فإن كنتم تخشون القومية فتلك مزالق خطرة. وإن كننم تخشون الناس وتخفون ما بأنفسكم فتلك أخطاء مكررة.

وفي الساحة كانت " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " ثم انشقت جبهات ثلاث . لماذا لا نقول تصدعت الجبهة ؟ هو كذلك فانظروا إلى التخريب كيف يكون. طوال عامين كانت تلك الجبهة فائقة الجرأة، قد اهتدت إلى أن الصراع، وإن كان يدورعلى أرض فلسطين، إلا أن المعركة أوسع من هذا وأشمل.

إنها معركة بين الأمة العربية وبين الصهيونية العالمية تمتد ساحتها إلى كل مكان في الأرض أو البحر أو السماء وتشمل قواها كل العرب وكل الصهاينة أيان وجدوا في فلسطين أو في خارج فلسطين . انطلاقاً من هذا الوعي الفذ ؟ وبمقدرة وشجاعة أسطورية ، راح المناضلون في الجبهة يطاردون الصهاينة في السماء وفي الأرض حتى قلب أوربا . وفرضوا على العالم المستهتر بالحق العربي جدية المقدرة العربية . وأشاعوا أكبر قدر من الرعب في قلوب الصهاينة عندما أحالوا كل الأرض إلى مواقع خطر محتمل لا يعرف أحد متى يجيء . وأجبروا الإسرائيليين على أن يتجولوا في العالم تحت حراسة مسلحة . ثم ان الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين " كانت تعتمد إلى أقصى حد علي مقدرتها الذاتية تمويلا وإعداداً وقوئ. وبالتالي كانت أكثر المنظمات مقدرة على حرية الحركة. أي كانت أكثر المنظمات بعدآعن متناول الاقليمية . فلماذا تصدعت الجبهة ؟

..... لأسباب إما جهنمية وإما غبية.

فقد شاعت فئة من المثقفين الثرثارين الذين يريدون أن يكونوا أبطالا على حساب المناضلين أن يثيروها حرباً طبقية، فشقوا الصفوف باسم الماركسية . لماذا الماركسية ؟ لأن الماركسيين في كل العالم هم القوة العالمية الرئيسية التي تقف معنا في معركتنا ضد الصهيونية والامبريالية. لأن الدول الاشتر اكية الماركسية وعلى رأسها اتحاد الجمهوريات السوفيتية هي المصدر الباقى للدعم المادي والسياسي الذي نحتاج اليه، وهي تمنحنا إياه بسخاء غير منكور. وعندما تختار فئة من المثقفين الثرثارين أن تشق صفوف المقاومة ، وتضعف المقدرة المتفوقة " للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " باسم الماركسية، فإنها تحاول أن تضعنا أمام أمرين: إما مباركة الانشقاق وإما

إدانـة الماركـسية، وكلاهمـا مناقض لمقتضيات النـصر فـي معركـة التحريـر، وكلاهمـا منزلـق خطير.

انتبهـوا ايهـا الـشباب العربـي فـلا يـستدرجنكم احـد الـى معركـة مفتعلـة ضـد الماركـسية. ونحـن نستدرج ونخطيء ونخذل قضيتنا ان توهمنا ان كل مدع للماركسية في وطننا العربي ماركسي حقاً . و ليس ثمة طريق لنحصن انفسنا ضد الاستدراج ولنكون قادرين على فرز الماركسيين حلفائنا في معركة التحرر العربي من منتحلي الماركسية غطاء للاستعمار الصهيوني في فلسطين او غطاء للهروب من المعركة الا ان نقيس موقف هؤلاء وهؤلاء على الالتزام الماركسي. في قضايا التحرر القومي كما تحددها المفاهيم الماركسية الاصيلة. أي أن نأخذ الماركسية كما هي مقياساً لمعرفة الماركسيين حقاً ثم ندع للمناضلين في الساحة الملتهبة وبين الجماهير المكافحة من اجل النصر ان تجيب على السؤال الخطير: اذا كانت الفئة الثرثارة من المثقفين العرب تدعو الى شق الصفوف باسم الماركسية وكانت الماركسية تدعو الى وحدة الصفوف فما حقيقة ما يدبرون ؟

لقـد انـشقت، أو تـصدعت "الجبهـة الـشعبية لتحريـر فلـسطين " لأن فئـة فـي قيادتهـا تـرى ان البورجوازية الصغيرة في الوطن العربي هي المسئولة عن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وأن على المقاومة ان تطرد البورجوازية الصغيرة من صفوفها وان تتحرر من القومية لتكون " بروليتارية " خالصة حتى تكون قادرة على النصر. أو هكذا يقولون.

فمـاذا يقـول اسـاتذة الماركسية، وقـادة النـضال الماركـسى، عـن الموقـف الـصحيح مـن الطبقـات والصراع الطبقي في معارك التحرير؟.

٦- منـذ سـنة ١٩٢٠ قـال لينـين: " ان الامبرياليـة لا تقهـر العمـال فـي بلادهـا فقـط بـل تقهـر البورجوازية في البلاد الصغيرة ايضاً " وقال: " ان البورجوازية القومية في كل امة مقهورة ذات محتوى ديمقراطي عام موجه ضد العدوان الخارجي واننا لنؤيد هذا المحتوى تأييداً غير مشروط ". وقال: " ان البورجوازية الغربية في حالة انحدار، اما في آسيا فبالعكس . فهناك لا تزال البورجوازية قادرة على ان تخوض الصراع الصلب المخلص من اجل التحرر ".

ويقـول فقهـاء الماركـسية فـي الاتحـاد الـسوفييتي الآن: " ان القهـر الاسـتعماري الـذي يمارسـه الامبرياليون تقع وطأته ، على خلاف في الدرجات ، على كل قطاعات الشعب تقريباً في الدول المحتلة، ويدفعهم الى الكفاح من اجل التحرر. فانطلاقاً من مصالحهم الحيوية لا تستطيع الطبقة العاملة والزراع وقطاعات هامة من البورجوازية المحلية ان يقبلوا حكم الاحتكارات الأجنبية المسئولة عن الاغتصاب القاسي لموارد الثروة الطبيعية وعن الجوع والفقر وكل اسباب القهر. وحتى لو استطاع الأمبرياليون ان يجدوا نوعاً من التأييد في تلك البلاد فان هذا لا يتمثل الا في حفنة من رؤساء الاقطاع الذين تستند قوتهم الى اسنة الرماح الاجنبية و مجموعة طفيلية من البورجـوازيين الكبـار الـذين يحـصلون علـى اربـاحهم مـن التعـاون مـع الاسـتعمار. امـا الاغلبيـة الساحقة من الشعب في المستعمرات فتتعاطف مع الكفاح من اجل التحرر او تساهم فيه مساهمة مباشرة ". ويقولون:
" ان أكثر المواقف تناقضاً بالنسبة لحركة التحرر هو موقف البورجوازية... ان الفئات المختلفة من البورجوازية لا تقف من حركة التحرر مواقف مختلفة فحسب بل ومتناقضة تماماً ايضاً. فالفئة الرجعية العليا البورجوازية، والبورجوازية الكومبرودورية المتصلة بالاستعمار، تكون عادة في موقف عدائي مع القوة الوطنية. وتشكل هذه الفئة من البورجوازية مع الإقطاعيين من ملاك الأراضي الذين يهمهم الحفاظ على امتيازاتهم مجموعة تعتمد على سيطرة الامبريالية في المستعمرات. أما الذين يطلق عليهم اسم البورجوازية الوطنية فإنهم يأخذون عادة اتجاهاً مختلفاً،

فهم كقاعدة يستثمرون رؤوس أموالهم في الصناعة وعلى هذا فلهم مصلحة في أن يخلقوا ويسيطروا على السوق الوطنية وأن يدافعوا عنه ضد جشع الاحتكارات الأجنبية. وهم يرون أن السبيل إلى تحقيق هذا هو إقامة دولة قومية متحررة من الاستعمار الأجنبي... ويقدر الماركسيون لهذا القطاع من البورجوازية نضاله الوطني ويدعمون كفاحه ضد الرجعية والامبريالية من أجل التحرر الوطني والاستقلال. ويقولون:
" إن القومية في البلاد المحتلة والمستعمرة تعكس محتوى ديموقراطياً سليماً لحركات التحرر الوطني ورفض الجماهير للقهر الامبريالي والكفاح من أجل التحرر والإصلاح الاجتماعي " ويقولون: "إن الوعي القومي في بلاد آسيا يتكون خلال الكفاح ضد الامبريالية والإقطاع. ويؤدي هذا إلى إيقاظ الجماهير من سبات القرون الوسطى والكفاح ضد الاستعمار والتخلف والعبودية. إن كل هذا يعطي القومية في الشرق المعاصر محتوي ديموقراطياً تقدمياً. ويشكل الوعي القومي المرحلة الأولى من الوعي التحرري خاصه بالنسبة لملايين كثيرة من الفلاحين. إن الماركسيين-اللينينين ينظرون إلى هذه القومية على أساس أنها مبررة تاريخياً ويستطيعون أن يدعموها وضمائرهم مستريحة ".

وقال ماوتسي تونج، أستاذ الماركسية في الصين ، وهو يحدد العلاقة بين الطبقات خلال حرب التحرير ضد الاحتلال الياباني: " إن الغاية من سياستنا السليمة ووحدتنا الصلبة أن نكسب ملايين الجماهير إلى صف الجبهة القومية المتحدة ضد اليابانيين. إن الجماهير العريضة من البروليتاريا، والفلاحين، والبورجوازية الصغيرة في المدن ، في حاجة إلى دعايتنا وتحريضنا وتنظيمنا. وإن جهوداً متزايدة من جانبنا لازمة أيضاً لإقامة تحالف مع تلك القطاعات من البورجوازية المناهضة لليابانيين " وقال: " من الطبيعي أن ثمة صداماً في المصالح بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية. ونحن لا نستطيع أن ننجح في نشر الثورة الوطنية إلا إذا منحت الطبقة العاملة، وهي طليعة الثورة الوطنية، حقوقاً سياسية واقتصادية وأتيحت لها إمكانية توجيه قوتها ضد الامبريالية وكلابها الخائنة. ومع هذا فإذا انضمت البورجوازية الوطنية إلى الجبهة المتحدة لمقاومة الاستعمار فستصبح لكل من الطبقة العاملة والبورجوازية مصالح مشتركة " .

دعم الجبهة القومية المتحدة ضد الاستعمار هو إذن ما يراه الاساتذة الماركسيون.

فهل الذين شقوا صفوف " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " ماركسيون ؟ وإذا لم يكونوا ماركسيين حقا فلماذا يسيئون إلى الماركسية ، ويدينون القومية ، ويشقون صفوف الجبهة الشعبية لتحريرفلسطين؟

٧- كل هذا يحدث الآن في صفوف أبطالنا المناضلين ولا نزيد. فما هو أكثر من هذا لايفيد قوله إلا الأعداء المتربصون، ولكن السكوت على ما يحدث الآن ليس إلا تآمراً صامتاً على المقاومة العربية في فلسطين . لا تستفيد إلا إسرائيل من إضعاف مقدرة المقاومةعلى النمو إما بتفتيت صفوفها وإما بتقييد حركتها. والمقاومة العربية ، بعد، ليست هي تلك القيادات المتعددة، المختلفة، المتصارعة، بل المقاومة العربية هي أولئك الأبطال من الشباب العربي الذين يبذلون حياتهم في صمت، ويذيقون عدوهم الموت ، ولا يعرف أحد أسماءهم ، ولا يهتمون، ولو أنهم قواعد كل تلك المنظمات التي يستنفد البعض منها قدراً غير قليل من الطاقات المادية والمالية والبشرية التي منحتها الجماهير العربية لكي تعلو بعض الأسماء ولو على حساب الشهداء. المقاومة هم حملة السلاح وليس الثرثارين من المثقفين أو الأدعياء. تلك هي المقاومة، وعن هذه المقاومة فليدافع الشباب العربي ضد كل محاولة آثمة لاضعافها أو انحرافها، أو إيقافها.

فما العمل ؟

٨- وهل تغير شيء جوهري في عامين؟ الم نقل إذن من قبل:

"إن كل هذا يقتضي من الشباب العربي أن ينظموا صفوفهم، ويتولوا أمر أنفسهم، وأن يقودوا- هم- المعركة ولكن حذار من المثالية. إن تصفية الاقليمية واجب قومي حتى لاتجر أمتنا مرة أخرى للهزيمة والقتل والتدمير والألم والحزن والعار ولكن ليس الآن وقت تصفية الاقليمية. ليس هذا أوان البحث عما يجب أن يكون والتخلي عن الممكن المتاح. إنما هو أوان استعمال الممكن إلى أقصى حدود إمكانياته لانقاذ ما يمكن إنقاذه . إن المعركة عامل ضغط قوي لتتخلى الاقليمية عن وجودها المحتضر، وعودة الجمهورية العربية المتحدة بالذات عامل حاسم في قلب موازين المعركة ، ويمكن للشباب العربي أن يحقق من هذا وذاك كل ما تتطلبه إزالة آثار العدوان، ورد الثقة إلى الجماهير العربية في مقدرتها على تحقيق النصر من قلب الهزيمة ، ولكنه على أي حال ليس أوان الانقضاض على الاقليمية وسحقها وإسقاطها بما يتطلبه هذا من صراع في الجبهة العربية، كما أنه ليس وقت تلفيق وحدة عربية بمنطق الاقليمية والاقليميين تحت ضغط الخطر القائم لتنفصل بعد زواله . وغداً أو بعد غد، طال الزمان أو قصر، سيصفي الشباب العربي حسابه مع الاقليمية المدمرة. أما الآن فلتكن الدول الاقليمية أدوات في أيدي الشباب العربي لتكون لهم المقدرة بعد تصفية آثار العدوان على تحطيمها. إن الدول الاقليمية- الآن- هي الأدوات المتاحة في معركة لا تزال محتدمة. فلتبق أدوات ولكن الإرادة للشباب العربي. إرادة الصمود. إرادة الاستمرار في المعركة . إرادة إزالة آثار العدوان. وليفرض الشباب العربي هذه الإرادة على الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين جميعاً. إن هذا يقتضي أن تتحول أيديهم المتعددة إلى قبضة ضاربة واحدة، وأن تتجسد إراداتهم العديدة في أداة مريدة واحدة، وأن تتكامل جهودهم في تنظيم قومي ثوري واحد يمثل إرادتهم ويفرضها ".

قلنا ولكن كيف ؟

وهل تغير شيء جوهري في عامين ؟ الم نقل من قبل ؟.

" مرة أخرى- ودائماً- من الممكن إلى ما يجب أن يكون من الواقع إلى المستقبل. إن التخلي عن الاشتباك مع العدو في المعركة التي تدور الآن لمحاولة خلق تنظيم قومي يحقق الوحدة ليتدارك ما فات مثالية عقيمة . إن كثير من الانهزاميين سيفرون من المعركة بحجة التحضير للجولة القادمة . إن هذا هروب لأن الجولة القائمة لم تنته بعد والمعركة لا تزال مستمرة. وكل ما يتمناه أعداؤكم الآن أن تتخلوا عن الاشتباك معهم ولو عدتم إلى ما استنفدتم فيه وقتاً غالياً وبددتم فيه جهداً ثميناً: الحوار مع الأقليمية دولاً وأحزاباً وأفكاراً حول كيفية تجسيد وحدة الثوريين العرب في تنظيم قومي واحد. لقد كان على الشباب العربي- دائماً- أن يكفّوا عن وهم الوصول إلى اتفاق مع الاقليميين من خلال الحوار. كان عليهم دائماً أن يعرفوا أن أحداً من أعداء الأمة العربية لن يسمح لهم راغباً بأن يوحدوا إرادتهم في تنظيم قومي واحد ليوحدوا وطنهم في دولة عربية واحدة . لقد كان ذلك وهماً قبل المعركة، أما الآن فهو هروب من المعركة. إن واجب الشباب العربي الآن أن ينتظموا في كتائب مقاتلة ومناضلة في المعركة القائمة، وأن تنسق آلكتائب في كل منطقة جهودها لتنمو من خلال المعركة وفي حدود أغراضها ".

ألم نقل من قبل:

" والساحة تقدم إلى الشباب العربي مهمات غيرمحدودة للنضال الذي يصهر إرادتهم ويصقل مقدرتهم ويدرب صفوفهم على النضال الجماعي المنظم في أسوأ الظروف. إن مهمة الشباب

العربـي الآن أن ينـصروا أمـتهم فـي وضـعها المهـزوم. فلينتظمـوا عشرات فـي كتائـب الأنـصار وليشتبكوا مع أعداء أمتهم فـي كل المجـالات المتاحـة اقتـصادياً وفكريـاً ودفاعيـاً واجتماعيـاً، وفـي القتال المسلح إن عاد القتال المسلح ، وبـالعنف المدمر لكل مصالح أعداء هذه الأمـة وعملائهم، وهـذه مهمـة لـن تنتهـي حتـى بإزالـة آثـار العـدوان. علـى كتائـب الأنـصار أن تنـتظم فـي وحـدات متماسكة لتحـرك الجمـاهير وتنظمهـا وتقودهـا إلـى أن تكـون القيـادة فـي الـوطن العربـي للجمـاهير العربية ".

ألم نقل من قبل:

" وليحـذر الـشباب العربـي من الأقليميـة فـي كل الظـررف فهـي غيـر أمينـة علـى أسـرار النـضال الجماهيري. وهي هي التي ستتصدى غداً أو بعد غد لهؤلاء الشباب لتحول بينهم وبين الاستمرار في النضال المنظم. وليولـد التنظيم القـومي الثـوري مـن تفاعـل وتعـاون والتحـام كتائـب الأنـصار خلال المعركة فكذلك يملك الشباب العربي أسباب النصر النهائي حتى وهم في الوضـع المهـزوم ".

بلى.

فهل تغير شيء في الوطن العربي خلال عامين لنضيف إلىما قلناه قولا جديداً ؟.. نعم. المقاومة . ولكن ألا يتصدون اليوم لهؤلاء الشباب ليحولوا بينهم وبين اكتمال المقدرة على استمرار النـضال المنظم ، عن طريق التفتيت والعرقلة والانحراف؟ هو كذلك.

فما العمل؟

٩- أيها الشباب العربي، لا تهربوا من مسئولياتكم وراء التساؤل الكبير. إن القادرين علـى النـصر مسئولون عن الهزيمة فأنتم المسئولون. وأن تخذلوا أمتكم بدلا من أن تنصروها فلن يجديكم شيئاً أن تتهموا العـاجزين عن النـصر أو المخـربين. إنكم لـستم أول أمـة خاضـت معـارك التحريـر. إن وحدة العدو، ووحدة الساحة ، ووحدة المرحلة تفرض عليكم أن تكونوا جبهة واحدة مـع كل الـذين يقاتلون. والذين يقاتلون فعلا فئتان مفرزتان عقيدة وغايـة فلا تختلطـان. أنـتم القوى القوميـة التـي تخـوض فـي الأرض المحتلـة معركـة التحـرر العربـي فـي سـبيل الوحـدة. والقـوى الاقليميـة التـي تخوض المعركة من أجل إزالة آثـار العدوان أو مـن أجل تحريـر فلسطين ثـم لا يزيـدون . أولئك حلفاء المرحلة رضيتم أم أبيتم وإن أبيتم فإنكم لا تخذلون سوى أمتكم ولا تعزلـون سـوى قـوتكم و لـن تجديكم عزلتكم فتيلا. والحلـف غيـر الوحـدة فـلا يجـديكم فـي المعركـة شيئاً أن تطلبـوا وحـدة المقاومة مضموناً وتنظيماً. تلك وحدة تنطوي على أسباب الفرقة فلن تلبـث حتـى تمـزق الـصفوف كرة أخرى. إنما هي الجبهة العربية الموحدة بين القوى القومية والقوى الفلسطينية المقاتلـة. كذلك فعل كل الذين أحرزوا من قبل النصر في معارك التحرير.

فلماذا لا تقوم الجبهة ؟

إنكم المسئولون.

إن القوى الفلسطينية منظمة في " فتح " تخوض المعركة من منطلقاتها، بأدواتها، إلـى غايتهـا، لا شبهة في أنها توفي بمسئوليتها في الإطار الفكري والحركي الذي اختارتـه حداً للقتـال. فـإن كـان ثمة من يقاتلون بعيداً عن " فتح " ولكن تحت شعار "مسئولية شعب فلسطين عن تحرير فلـسطين

" فإنهم يعبثون . وفي " فتح " مكان لكل المقاتلين من أجل إزالة آثار العدوان عن أوطانهم من فلسطين أو من غير فلسطين. " فتح " إذن هي الطرف القائم بدون شك المعين بدون لبس ، ليكون طرفاً في الجبهة العربية لتحرير فلسطين.

أما الطرف الآخر فأنتم ، وأنتم مبعثرون. أنتم الذين يمزقونكم كل يوم أو أنتم الممزقون. مع أنكم الأكثرون. أنتم أبطال القتال في ساحة المعركة وأنتم الجماهير العربية في الوطن العربى فأنتم الملايين. فما الذي تنتظرون؟ أن تبيح الأقليمية وطنكم لأعدائكم مرة أخرى أو أن تساوم عليه، أو تستسلم ثم تبكوا كما بكيتم من قبل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ المشئوم؟

أيها الشباب العربي انصروا أمتكم العربية، فإنها بعد عامين من الهزيمة أكثر من ذي قبل حاجة إلى أن تنصروها، وأن تنصروا لا تنصروا إلا أنفسكم ومستقبل وطنكم العظيم.

فما العمل ؟

١٠- (١) ليلتحم كل القوميين المقاتلين في المقاومة في منظمة " عربية واحدة وليقيموا مع " حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " جبهة عربية موحدة لتحرير فلسطين.

(٢) ولتشكل في كل مكان من الوطن العربي كتائب الأنصار لتكون القواعد الجماهيرية للمنظمة العربية تحمي ظهرها وتؤمن في البداية ودائماً ، وحتى النهاية سمتها القومية ، ولتكون المنظمة العربية القبضة الضاربة لتلك الجماهير.

(٣) ولتكن مهمة الأنصار من الجماهير في الوطن العربي حماية الجبهة العربية الموحدة من تخريب الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين، والتحريض على القتال، و الاستمرار فيه، وتعبئة كل القوى لمنع التراجع أو المساومة أوالاستسلام. وفي كل قضية مطروحة في أي مكان عربي سيجد الأنصار صلة وثيقة بينها وبين النصر في المعركة، وعلى أساس تلك الصلة يحددون مواقفهم من كل القضايا ومن كل القوى منتصرين دائماً لأمتهم.

(٤) ولتكن مهمة الأنصار من القادرين في الوطن العربي والعرب المقيمين في أي مكان من الأرض أن يشكلوا مكاتب إمداد المقاتلين بالمال والعتاد إلى أقصى درجة يستطيعونها ليكون المقاتلون في غنى إلى أقصى درجة مستطاعةعن دعم الاقليمية ومالها ليكونوا بذلك أبعد ما يكونون عن أسارها.

(٥) ولتكن مهمة الأنصار من المثقفين والكتاب والأدباء والفنانين، أعفاء جهد المقاتلين في المعركة من عبء الدعوة الفكرية والإعلامية وليشكلوا من أنفسهم مكاتب الدراسة والدعوة والدعاية وليحضروا لليوم الموعود.

(٦) وليكن اليوم الموعود إثر مرحلة المعركة القائمة لإزالة آثار العدوان، أو في يوم معلوم، عهدآوميثاقأعلى كتائب الأنصار الذين صقلتهم المعركة، واختبروا فيها صلابتهم، أن يعقدوا مؤتمرهم العربي الذي يتحولون به إلى تنظيم قومي يتولى مسئولية الثورة العربية الشاملة ضد الاحتلال والتجزئة والاستغلال فينبثق التنظيم الثوري من قواعده التي حضّرتها المعركة وأهّلتها لدورها القيادي العظيم.

(٧) وليكن شعار المرحلة: التنظيم من أجل التحرير والتحرير من أجل الوحدة.

هكذا يمكن أن يولد التنظيم الثوري القومي من خلال معركة تحرير فلسطين.

وهذي رسالة إلى كل الذين يجترون آلام أمتهم، ويعيشون منذ أمد طويل أمل الالتقاء في تنظيم قومي ثوري يحقق لأمتهم النصر ويحول بينها وبين أن يمر بها يوم عار أسود مثل ذلك اليوم المشئوم من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. فإن كان الطريق طويلا وعرأ فلأن المعركة طويلة وعرة فلا تخدعوا أنفسكم إن كنتم مؤمنين.

وفي هذا فليتسابق المتسابقون.

أيها الشباب العربي.

أعدوا من قلب المعركة لمسيرتكم القومية، وعندما يأتي اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى الأمر الذي كان واقعأ قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لتبدأ مسيرتكم على الطريق إلى الوحدة العربية.

والسلام عليكم وعلى وطنكم العربي الكبير، ورحمة اللة على شهداء أمتكم الأبرار، وبركاته على نضالكم من أجل الوحدة.

٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩